

٣
سلسلة رؤى معاصرة

السنة الأولى - العدد رقم ٣ - المحرم ١٤٢٨هـ - يناير ٢٠٠٧م

مسلمو روسيا ومشاريع الاستقلال

محمد عادل



وكيل التوزيع في منطقة الخليج العربي
هاتف: ٩٦٦١٤٥٤٦٨٦٨+
sales@albayan-magazine.com



[٣]

سلسلة رؤى معاصرة

مسلمو روسيا
ومشاريع الاستقلال

محمد عادل

رئيس التحرير

د. باسم خفاجي

b.khafagy@arab-center.org

مدير التحرير

عامر عبد المنعم

aamermoneim@arab-center.org

المركز العربي للدراسات الإنسانية:

القاهرة -١ أ شارع رفاعة متفرع من الخليفة المأمون - مصر الجديدة

www.arab-center.org

mail: info@arab-center.org

هاتف: ٢٠٢٤٥٤٩٥٥٧+

فاكس: ٢٠٢٤٥٤٩٥٥٧+

نقال: ٢٠١٠٥١٢٥٩٥٦+

رؤى معاصرة:

سلسلة دورية استراتيجية تهتم بتقديم رؤى استشرافية وبحثية لصناع القرار والمثقفين في العالم الإسلامي. يتركز اهتمام «رؤى معاصرة» في التحديات الفكرية والاستراتيجية والسياسية التي تواجه الأمة الإسلامية سواء على المستوى الداخلي، أو في علاقات الأمة مع الدول والشعوب غير المسلمة، أو على مستوى الرؤى الفكرية والحضارية الخاصة بمستقبل العالم الإسلامي.

مجالات الاهتمام:

تهتم «رؤى معاصرة» بمجموعة محددة من المشكلات والقضايا التي يمكن أن تنحصر في التالي:

- ❋ تقديم دراسات تحليلية لقضايا واقعية ملحة تشغل اهتمام صانع القرار الإسلامي.
- ❋ عرض حلول عملية لمشكلات معاصرة في مجالات الفكر والاستراتيجية والسياسة.
- ❋ تعريف بقضايا أو مشكلات جديدة على ساحة العمل الإسلامي.
- ❋ طرح رؤى جديدة متميزة وعملية حول بعض المشكلات والقضايا المعاصرة.

الموزعون:

مصر : المركز العربي للدراسات الإنسانية - القاهرة : ١ أ شارع رفاعة متفرع من الخليفة المأمون - مصر الجديدة -.هاتف: ٤٥٤٩٥٥٧ فاكس: ٤٥٤٩٥٥٧

الإمارات العربية المتحدة: شركة الإمارات للطباعة والنشر، دبي ص. ب ٦٠٤٩٩، هاتف: ٣٩١٦٥٠١، فاكس ٢٦٦٦١٢٦.

سلطنة عمان: مؤسسة العطاء للتوزيع، ص. ب ٤٧٣ - العذيبة ١٣٠ - هاتف: ٢٤٤٩١٣٩٩ - فاكس: ٢٤٤٩٣٢٠٠.

البحرين: مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة: ص. ب ٢٢٤ هاتف ٥٣٤٥٥٩ - ٥٣٤٥٦١، فاكس ٥٣١٢٨١.

السعودية: الشركة الوطنية للتوزيع: هاتف: ٤٨٧١٤١٤ - فاكس: ٤٨٧١٤٦٠.

السودان: الخرطوم، دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع، هاتف: ٧٩٣٢٨٣ - فاكس: ٧٩٣٢٨٤ - ص. ب ١١١٦٦ الخرطوم.

الأردن: الشركة الأردنية للتوزيع، عمان ص. ب ٣٧٥ هاتف: ٥٣٥٨٨٥٥، فاكس: ٥٣٣٧٧٣٣.

قطر: دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع، الدوحة هاتف: ٤٥٥٧٨١٠ - ٤٥٥٧٨١١ - ٤٥٥٧٨١٢ - فاكس: ٤٥٥٧٨١٩.

الكويت: شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع: ص. ب: ٢٩١٢٦ - الكويت الرمز البريدي ١٣١٥٠ - هاتف ٢٤٠٥٣٢١ - ٢٤١٧٨١٠ - فاكس: ٢٤٧٨٠٩.

المغرب: سوشبرس للتوزيع، الدار البيضاء، ش جمال بن أحمد ص. ب ١٣٦٨٣ - هاتف ٤٠٠٢٢٣ - فاكس: ٢٤٦٢٤٩.

اليمن: دار القدس للنشر والتوزيع، صنعاء: ص. ب: ١١٧٧٦ الطريق الدائري الغربي أمام الجامعة القديمة، هاتف: ٢٠٦٤٦٧ - فاكس: ٤٠٥١٣٥.

مقدمة

لـم يحظ المسـلمون في الجمهوريات ذات الكثافة الإسـلامية داخل روسـيا الاتحادية باهتمـام الباحثين علـى الرغم مما تتمتع به المنطقـة من موقع متميز، واهتمـام دولي متنامٍ، ورغم الأهمية الاسـتراتيجية والاقتصادية الكبيرة لهذه الجمهوريات، خاصة مع ما يمكن أن تلعبه من دور بالنسبة لمستقبل «روسيا الموحدة».

إن المسـلمين يمثلون ثقلاً سـكانياً كبيراً، يصل لحوالي ١٥٪ من إجمالي سكان الاتحاد الروسـي، كما أن تاريخ الإسلام في روسيا قديم، إذ دخلها مبكراً في القرن السابع الميلادي قبل دخول المسيحية إلى أراضيها.

تعرض المسـلمون في تلك المنطقة منذ القرن السـادس عشـر لعمليات اضطهاد وإبادة مسـتمرة؛ اسـتهدفت هويتهم ودينهم، حتى ضعف أثر الإسـلام في نفوس مسـلمي روسيا، وتحول في نظر الكثيرين إلى مجموعة من التقاليد التي يداخلها الكثير من الانحرافات.

ويبدو المشهد الإسلامي الحالي بعد انهيار الاتحاد السوفييتي متبايناً بين مسلمي المنطقة، بمعنى أن درجة الالتـزام الديني، ومظاهره تختلف بين منطقة وأخرى، فنرى وضوح مظاهر العودة إلى الإسـلام في إقليم القوقاز، بينما تقل هذه المظاهر نسـبياً على الجانب الآخر في إقليم الفولغا والأورال، حيث الانعزال عن العالم الإسلامي والاندماج في الهوية الروسية.

وأكد إقبال المسلمين نحو دينهم مع أول فرصة أُتيحت لهم بعد سقوط الاتحاد السوفييتي أن الوعي الديني لم يَخْتَفِ من أوساطهم تماماً كما كان مخططاً لهم، وأن الإسلام يمثل لهم مقوماً أساسياً في هويتهم.

وتشهد الجمهوريات الإسلامية في روسيا الاتحادية حالة من الشد والجذب بين قناعات ورؤى مختلفـة بخصوص طبيعة العلاقة مع المركز الروسـي، تتـراوح ما بين الحرص على الاستقلال بعيداً عن سلطة موسكو، في حين تقنع بعض الجمهوريات بالتبعية لروسيا والبقاء ضمن الاتحاد الروسي؛ مع الاحتفاظ بقدر مناسب من الحكم الذاتي.

يتتبع البحث انبعاث الروح الاسـتقلالية لدى بعض مسـلمي روسـيا وصعودها، خاصة فـي منطقة القوقاز، مدفوعة ببواعث ومحركات دينية أحياناً وقومية واقتصادية أحياناً أخرى، ويكشـف عن تباين مشـاريع الاسـتقلال فـي الجمهوريـات ذات الكثافة الإسـلامية داخل

الفيدرالية الروسية؛ بسبب الاختلاف فيما بينها عرقياً وثقافياً وجغرافياً واقتصادياً.

كما يرصد أسباب إصرار روسيا على عدم قبول الأفكار الاستقلالية التي تعالت أصواتها في بعض المناطق الروسية؛ لأنها تعتبر أن استقلال أي جمهورية أو مقاطعة سوف يؤدي إلى نتائج لن تستطيع تحملها، وسيشعل ذلك المطالب الاستقلالية بصورة يستحيل معها ضمان الحفاظ على استقرار ووحدة الاتحاد الروسي.

تمثل جمهورية الشيشان واحدة من أهم الجمهوريات الإسلامية القوقازية، وأكثرها ثورية؛ بما توفر لها من الخصائص العِرقية والصحوة الإسلامية، وتعد النموذج الأبرز بين الجمهوريات الروسية ذات الكثافة الإسلامية في المطالبة بالاستقلال، وعدم التخلي عن المشروع الاستقلالي.

في حين يضعف مشروع الاستقلال في جمهورية تترستان التي تظهر كنموذج أقرب إلى التعايش مع المركز الروسي؛ بسبب الصعوبة الجغرافية في الانفصال، فضلاً عن ضعف الالتزام الديني.

يهدف البحث -من خلال تسليط الضوء على تاريخ الإسلام في روسيا- إلى التعريف بمسلمي هذه البلاد وأوضاعهم؛ خاصة بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، والكشف عن حقيقة مشاريع الاستقلال وتباينها وتزايد رغبة بعض الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية في التخلص من الهيمنة الروسية من خلال الواقع الجديد الذي تحياه شعوب المنطقة.

كما يقدم البحث رؤية لأهم العناصر المتحكمة في مستقبل مشاريع الاستقلال بتلك الجمهوريات، وما يتعلق بارتباطها بالكيان الروسي، في ظل حسابات المصلحة والمفسدة وفي ظل ظرف تاريخي يصعب تجاوزه في تأسيس نظرة واقعية لمستقبل تلك المشاريع.

أولاً: الإسلام والمسلمون في روسيا

١- روسيا المعاصرة:

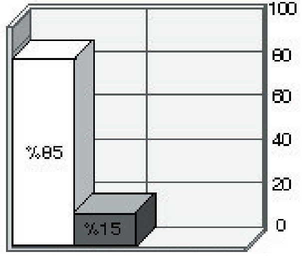
روسيا هي أكبر دول العالم من حيث المساحة (٠٧٥ , ١٧ مليون كم٢)، وهذه المساحة تعد أحد أهم عناصر القوة الروسية؛ إذ إنها غنية بالثروات الطبيعية والمعدنية، وبها ما يقارب الـ ٢٢٠ مليون هكتار من الأراضي الزراعية، هذا بجانب ١٢٠ ألف نهر، وأهمها نهر الفولغا.

كما تمتلك روسيا سابع أكبر احتياطي نفطي في العالم بعد دول الخليج وفنزويلا، وهي أكبر دول العالم من حيث احتياطيات الغاز الطبيعي المتوافر لديها.

من ناحية أخرى تُعد روسيا خامس أكبر دول العالم من حيث عدد السكان (١٤٢,٨٩٣,٥٤٠).[(١)]

وتتكون روسـيا الاتحادية مما يربو على ٩٠ وحدة إدارية في صورة تنظيمات تأخذ شـكلاً فيدرالياً، وتخضع فعلياً لسـلطة مركزية تديرها العاصمة موسكو؛ سواء كانت جمهوريات أو أقاليم أو مناطق، أو مقاطعات حكم ذاتي؛ وهي كالتالي:

رسم توضيحي للسكان في روسيا



* الجمهوريات: وعددها ٢١ جمهورية.
* الأقاليم : وعددها ٤٩ إقليماً.
* المناطق: وعددها ٦ مناطق.
* مدينتان ذواتا استقلالية فيدرالية خاصة؛ وهما موسكو وسان بطرسبرج.
* إقليـم حكم ذاتي: وهو إقليـم الحكم الذاتي اليهودي في أقصى شرق روسيا على الحدود الصينية.
* مقاطعات الحكم الذاتي: وعددها ١٠ مقاطعات.

ومن الناحية النظرية فإن الجمهوريات ووحدات الحكم الذاتـي قد بُنيت على أسـس (إثنية - لغويـة)، وباقي الوحـدات الإدارية بُنيت على أسـس تنظيمية مكانية. [(٢)]

ويمثل المسلمون في روسيا قوة سكانية متصاعدة، «٢٠ مليون نسمة حسب الإحصائيات الرسمية» [(٣)]. أي ما يمثِّل حوالي ١٥٪ من إجمالي سكان الاتحاد الروسي. ويتركز وجودهم فـي منطقتي القوقاز الحدودية الجنوبية، والفولغا والأورال وسـط روسـيا، وتحتل مسـاحة أراضيهم ما يقرب من ٥ , ٣٪ من مسـاحة روسـيا. وتوجد مجموعات متفرقة من المسلمين منتشرة في باقي المناطق الروسية بما فيها العاصمة موسكو.

٢- تاريخ الوجود الإسلامي في روسيا:

للإسـلام في روسـيا جذور عميقة؛ إذ وصلها مبكـراً قبل دخول المسـيحية إلى أراضيها؛ فالمسـيحية دخلت روسيا في القرن العاشر الميلادي، بينما عرفت روسيا الإسلام في القرن

السابع الميلادي؛ وتحركت الجيوش الإسلامية باتجاه المنطقة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث ذكرت بعض المصادر التاريخية وصول الجيوش العربية مبكراً إلى أذربيجان بقيادة المغيرة بن شعبة عام ١٨ هجرية ، فيما وصلت الجيوش الإسلامية بقيادة حبيب بن مسلمة إلى تفليس عاصمة جورجيا اليوم عام ٢٢هـ».(٤)

«بدأ الإسلام في بلاد ما وراء النهر واجتاز هذه الآفاق في عصر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتوغلت جيوش المسلمين شمالاً وشرقاً لمطاردة يزدجرد الثاني، آخر أكاسرة بني ساسان.

وواصلت الجيوش الإسلامية زحفها في عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وتوقفت فترة في أواخر مدة حكمه وأيام الفتنة الكبرى، ثم واصلت زحفها من جديد مع بداية عصر بني أمية وقد بلغت الفتوح الإسلامية أوجها أيام الوليد بن عبد الملك، ليس في بلاد ما وراء النهر فقط، ولكن في السند، كما اجتازت جيوشه المضيق إلى بلاد الأندلس.

وكان بطل الفتوح الإسلامية أيام الوليد هو قتيبة بن مسلم الباهلي الذي وصل إلى الولايات الغربية من الصين، ودانت له كل آسيا الوسطى، وبنى أول مسجد في بخارى عام ٩٤هـ.

ثم أوغل المسلمون الجدد من أبناء ما وراء النهر في التقدم شمالاً وغرباً بعد مقتل قتيبة بن مسلم الباهلي.

وكان الصراع بين الولاة الأمويين والحكام الأتراك في بعض المناطق المتاخمة على أشده، ولكنه انتهى في النهاية لصالح المسلمين، بسبب السياسة الحكيمة التي اتبعها عمر بن عبد العزيز في مدة حكمه القصيرة.

وقد كان هناك مشروع بغزو الصين نفسها ولكن عمر بن عبد العزيز عدل عن هذا المشروع الذي أعده القواد قبل ولايته، ودعا إلى تثبيت الإسلام في هذه البلاد الجديدة التي أحسن أبناؤها استقبالهم للإسلام».(٥)

«لقد استطاعت الدولة الأموية أن تجهز جيشاً قوامه ٧٠ ألفاً لفتح التركستان بقيادة القائد العربي الشهير قتيبة بن مسلم الباهلي الذي اقترن اسمه بالفتوح في إقليم التركستان، وقد استخدم قتيبة عدداً من أهالي البلاد الترك في حملاته إضافة إلى من وفد إليه من المتطوعين من بخارى وخوارزم وغيرها من المدن.

ولقد استغرقت حملات قتيبة بن مسلم في بلاد ما وراء النهر نحو عشر سنوات حافلة بالتوفيق والنصر، وصلت فيها قواته حتى مدينة كاشغر على حدود الصين سنة ٩٦هـ/ ٨٠٤م.

خريطة رقم(١): فتوحات ما وراء النهر



المصدر: أطلس التاريخ العربي الإسلامي للدكتور شوقي أبو خليل . توضح الخريطة الفتوحات الإسلامية لبلاد ما وراء النهر في عهد الوليد بن عبد الملك، حيث قاد جيوش المسلمين قتيبة بن مسلم الباهلي.

ولقـد أفاد العباسـيون من الجهود التي بذلها الأمويون لنشر الإسـلام في بـلاد ما وراء النهر واستطاعوا أن يجتذبوا جماهير المسلمين هناك لمبادئ الدعوة.

ولقد ساعد هذا الغزو الإسلامي لبلاد ما وراء النهر حركة نشر الإسلام بين أهالي هذه البلاد وتحويلهـم عن الوثنية التي كانوا فيها إلى اعتناق الديـن الحنيف، وقد أقبل هؤلاء الأتراك على الإسلام إقبالاً كبيراً وتحولت كل بلاد ما وراء النهر تقريباً إلى الإسلام، ولقد نبغ من أهل هذه البلاد بعض أعلام الحضارة الإسلامية في شتى العلوم والفنون.

تبع انتشـار الإسـلام على ذلك النحو في بلاد ما وراء النهر ووسط آسيا، سير الثقافة العربية الإسـلامية في طريقها المرسـوم، فلم تعد هـذه الثقافة ثقافة الوافدين مـن العرب، إنما صارت ثقافـة أهل البلاد الذين توطن الإسـلام والعربية بينهـم، والذين بدأوا بعـد تعلمهم العربية، يضيفون الكثير إلى النتاج الحضاري الإسلامي.

وإذا كانت مدارس ما وراء النهر قد ازدهرت في عهد الطاهريين والسـامانيين، حينما برزت

بخارى وسمرقند كمراكز للعلم والثقافة الإسلامية، فليس من شك أن الخطوات الأولى التي أدت إلى هذا التطور قد تمت في القرنين الثاني والثالث الهجريين أيام تبعية هذه البلاد للخلافة العباسية.

ومن الممكن أن نكشف عن الجهود التي بذلها أعلام الإسلام والحضارة الإسلامية من أهالي بلاد ما وراء النهر إذا درسنا بتعمق كتب الطبقات المختلفة كطبقات الحفاظ والفقهاء والقراء، واللغويين والنحاة والمفسرين والأطباء.

لعب ابن فضلان مبعوث الخليفة العباسي المقتدر بالله دوراً كبيراً في إسلام أجناس روسيا المختلفة

فلا شك في أننا نجد مادة غزيرة في هذه الكتب تلقي ضوءاً على هذه الجهود المشكورة التي بذلها علماء هذه البلاد المسلمين، ومما لا شك فيه أن بروز علماء أهل تلك البلاد، مُعَلِّمَة للدين والثقافة لا مُتعلمة لم يكن مقصوراً على بلاد ما وراء النهر بل شمل العالم الإسلامي كله مثل الإمامين البخاري ومسلم، والترمذي وابن ماجه وأبي داود والفراء والفارابي، والشيخ الرئيس ابن سينا والطبري والخوارزمي والبيروني وغيرهم، أمر لم يتم بين عشية وضحاها بل لابد وأن يكون قد سبق هذا الجيل جيل آخر مَهَّدَ لظهور هؤلاء الأعلام العظام من أعلام الحضارة الإسلامية الخالدين».(٦)

ولعب ابن فضلان مبعوث الخليفة العباسي المقتدر بالله دوراً كبيراً في إسلام أجناس روسيا المختلفة، ولا يقر مسلمو روسيا بشيء من الفضل لأحد كما يقرون لابن فضلان.

«يقدم رافيل بخاربيف فى بحثه التاريخي الرصين (الإسلام في روسيا: الفصول الأربعة): مبحثاً رائداً أسماه «ربيع الإسلام في روسيا» يستعرض وصول الإسلام إلى روسيا وبداية انتشاره فيما بين عامي ٩٢٢ و١٢٢٩م (٣٠٩- ٦٢٦هـ).

يعرض لنا بخاربيف معلومات حصل عليها من مخطوطات إسلامية نادرة في المكتبات الإسلامية في روسيا تتعرض للرحلة التي حملت بشارة الإسلام إلى تلك المنطقة النائية من العالم على حافة سيبيريا في الشرق وجبال الأورال في الغرب لتسجل لحظة «ميلاد الأمة الإسلامية في روسيا» التي يصل عمرها اليوم لأكثر من أحد عشر قرناً من الزمان.

ففي عام ٩٢١م (٣٠٩هـ) خرجت من بغداد بعثة دينية سياسية بتكليف من الخليفة العباسي «المقتدر بالله» إلى قلب القارة الآسيوية فى مكان عُرف وقتها باسم «أرض الصقالبة»؛

تلبيـة لطلب ملك البلغار «ويعرف باسـم ألموش بـن يلطوار» للتعريف بالدين الإسـلامي. وتألفت الرحلة من حشد من العلماء والفقهاء ورجال دولة ومؤرخين، وفي مقدمتهم الرجل الموسـوعي أحمد بن فضلان الذي أخرج مشـاهداته على طول الطريق من بغداد إلى أرض البلغار في كتاب «الرسالة» .. غير أن الثابت، ومن خلال مراجعتنا لتاريخ انتشار الإسلام في القارة الآسـيوية، يفيد بأن الرحلة لم تكن أول من قدَّم الإسـلام إلى بلغار الفولغا. فمن شأن ذلـك أن يبخـس حقوق التجار الذين قدَّمُوا – بسلاسـة متناهية – المبادئ العامة للإسـلام، وأهمها تلك القائمة على الأمانة وطيب المعاملة، وقد خط هؤلاء التجار الطريق الطويل بين بغداد وممالك آسيا الوسطى من ناحية وبلاد البلغار والقبائل الروسية من ناحية ثانية».(٧)

غيـر أن منطقة الخزر، القائمة ما بين بحـر القلزم (قزوين) والقوقاز، ظلت عُرضة للصراع بين العرب المسـلمين والخزر الوثنيين لمدة مئتي سنة، إلى أن استطاع القائد الأموي مروان ابـن محمد عـام ٧٣٧م – ١١٩هـ القضاء علـى مملكتهم والوصول إلى نهـر الصقالبة «نهر الدون».

وأخذ الإسـلام ينتشر بين الخزر أنفسهم عن طريق التجارة والعلاقات الإنسانية المباشرة، وهكذا كان الحال بالنسبة للمناطق الأخرى حول حوض نهر أتيل «الفولغا»، كما نرى بعض صورهـا وملامحها التاريخية في رسـالة ابن فضلان عـن البلغار «التتر»، بل يمكن القول بأن انتشـار الإسـلام في المنطقة لم يكن متشـابهاً؛ إذ تم أحياناً عن طريق الحرب، وفي حالات أخرى عن طريق السلم.

وكانت الوثنية هي السـائدة في روسيا حتى القرن العاشـر الميلادي، ولـم تُعتنق النصرانية «رسمياً» إلا في نهاية القرن العاشر.

أما بالنسـبة إلى الإسـلام فإن انتشـاره ابتداء مـن القرن الثاني الهجري فـي مناطق حوض الفولغـا، لـم يرتبط بالانتصـارات الحربيـة للأمويين فقط، بـل وبالروح الإسـلامية لتُجَّاره ودعاتـه. إلا أن إسـلام هذه المناطق ظـل مع ذلك متأرجحـاً؛ وذلك لعدم اسـتقرار الدولة ومؤسسـاتها، وكذلك بسبب الصراع الدائم بين شعوب المنطقة «الخزر المتهودة، والروس المتنصرة، والبلغار المسلمة».

وظلت دائرة نفوذ الإسـلام تتوسـع في تلك المناطق بصورة تختلف في انتشارها وتأثيرها حسـب ثقافات وطبائع شـعوبها؛ التي تتميز بتباين ديني وعِرْقي كبيـر، إلى أن قضى المغول

على الخلافة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الميلادي، واستتب لهم الأمر في مناطق شاسعة من بلاد المسلمين؛ حتى بدأ الإسلام ينتشر في صفوفهم بعد أن أسلم ملكهم بركة خان، واتخذ اسم «الملك السعيد»، وقد أعطى ذلك دفعاً جديداً للإسلام أوصله حتى القرم وسهول روسيا الجنوبية في شمال البحر الأسود وبحر الخزر وحتى سيبيريا الغربية.

وفي نهاية القرن الخامس عشر الميلادي اعتنق دين الإسلام معظم سكان البلقان، والقره تشاي والكبردين، والشركس الشرقيون وهم ساكنو منطقة القوقاز.[٨]

و«ترجع بدايات ظهور الإمبراطورية الروسية إلى أواخر القرن الخامس عشر، حين استطاع إيفان الثالث عام ١٤٨٠م،(٨٨٤هـ) هزيمة التتار المسلمين وطردهم من دوقية موسكو ليبدأ بذلك العهد القيصري، وكان تيمورلنك ١٣٧٠ - ١٤٠٥م، ٧٧١- ٨٠٨هـ قد أسس دولة كبرى خلال القرن الرابع عشر عاصمتها سمرقند - في أوزبكستان الحالية-، وشن حملات عسكرية ضد روسيا وأخضعها لسيطرته، وظلت روسيا خاضعة لحكم التتار المسلمين حتى القرن الخامس عشر؛ حيث انهارت دولة تيمورلنك بعد وفاته في أوائل القرن الخامس عشر؛ وأصاب التفكك الإمارات المغولية ، وبدأ الروس يستجمعون القوى لطرد المسلمين ، وقد تم هذا بالفعل على يد إيفان الثالث عام ١٤٨٠م، ٨٨٤هـ.

ومع وصول إيفان الرابع - المعروف بإيفان الرهيب- حفيد إيفان الثالث إلى السلطة؛ بدأت روسيا في التوسع وتكوين إمبراطوريتها، فتم التوسع في الأراضي المجاورة شرقاً عبر جبال الأورال وسيبريا، كما تم إخضاع قازان المسلمة عام ١٥٥٢م،(٩٥٩هـ) للسيطرة الروسية، تلا ذلك إخضاع إستراخان عام ١٥٥٧م،(٩٦٤هـ) وأخذت القوات الروسية بعد ذلك في الزحف على المناطق الإسلامية وضمها بالتدريج».[٩]

وارتبط التوسع الروسي في أراضي المسلمين بالبعد العقدي فضلاً عن الطموحات التوسعية الروسية.[١٠]

ومع نهاية القرن السادس عشر كان الروس قد وصلوا إلى شمال القوقاز في كبردين وبلاد الشيشان، ولم يتوقف الزحف النصراني على المناطق التي كانت حديثة الدخول في الإسلام إلا بعد أن فرض المسلمون تفوُّقهم مع نهاية القرن، وأوقفوا تقدُّم النصرانية في القوقاز الأوسط وبلاد الكبردين، الذين بقوا فترة طويلة يترددون بين موسكو النصرانية واسطنبول المسلمة حتى آثروا الإسلام نهائياً، وأصبحت كبارديا بلاداً مسلمة مع بداية القرن السابع

عشر الميلادي، ومنها دخل الإسلام بلاد الأوسيت المجاورة للشيشان». [١١]

«وقد شهد القرنان السابع عشر والثامن عشر معارك دامية لضم روسيا الأراضي التي تشملها اليوم هذه الجمهوريات. وخرج للدفاع عن الأرض مجاهدون كبار أمثال الإمام غازي محمد، والإمام منصور إضافة إلى الإمام شامل ذائع الصيت. ولم يكن انتهاء كفاح الإمام شامل في عام ١٨٦٤م - ١٢٨٠هـ إلا بداية لدخول مرحلة جديدة من الصراع مع السلطة القيصرية ومن بعدها السوفييتية التي جرَّمت أية محاولات للاستقلال وأحاطتها بالحديد والنار من ١٩١٧م - ١٣٣٥هـ إلى ١٩٩١ - ١٤١١هـ». [١٢]

في مطلع القرن العشرين شهد المسلمون عمليات تحويل قسري للنصرانية مارسته الدولة القيصرية الروسية

٣- مسلمو روسيا في العصرين القيصري والسوفييتي:

تعرض المسلمون في تلك المنطقة منذ القرن السادس عشر وإلى أواخر القرن العشرين لعمليات استعمار واضطهاد مستمرة؛[١٣] استهدفت هويتهم، نُجملها في الآتي:

الحقبة الأولى (القيصرية): تمتد من القرن السادس عشر حتى قيام الثورة البلشفية في مطلع القرن العشرين، وفي هذه الفترة شهد المسلمون عمليات تحويل قسري؛ مارسته الدولة القيصرية الروسية؛ لصرف المسلمين إلى النصرانية، شمل: هدم المساجد؛ وتحويل أعداد منها إلى كنائس، وتهجير عشرات الآلاف من المسلمين من موطنهم الأصلي إلى بقاع بعيدة، وملاحقات بوليسية متواصلة. ومارس القياصرة سياسة الإبادة المنظمة لتلك الشعوب، وارتكبوا العديد من المجازر مما أضفى مزيداً من الدموية على تلك الحقبة. ومن أشهر الحملات الدموية التي تعرض لها المسلمون هي تلك الحملات التي قادها إيفان الرابع في منتصف القرن السادس عشر وقد قام باجتياحات كبرى للمناطق الإسلامية في القوقاز وآسيا الوسطى، وذكره السيئ يتردد إلى اليوم على لسان كل تتريّ مسلم .

الحقبة الثانية (السوفييتية): تمتد من ١٩١٧م- ١٣٣٥هـ وحتى ١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ؛ أي ما بين قيام الثورة البلشفية وحتى تولي جورباتشوف رئاسة الاتحاد السوفييتي. وفي هذه الفترة استمرت صور الاضطهاد السابقة مع استحداث أساليب جديدة لإبعاد المسلمين عن

دينهم. لقد حاولت الشيوعية القضاء على الأديان ومحاربتها بشتى الطرق، وكان للإسلام نصيبٌ وافرٌ من الملاحقات؛ حتى انزوت الشعائر الإسلامية، وتحولت المساجد إلى متاجر أو نوادٍ وأحياناً إلى حظائر للحيوانات. وقد أدت السياسة السوفييتية بهذا الصدد إلى عزل المسلمين عزلاً شبه تام عن محيطهم الإسلامي، «وجرى ذلك من خلال غَرْسِهَا الصيغة الأيديولوجية المبتذلة عن وجود ثقافتين: «تقدُّمية، ورجعية» في تاريخ كل أمة، حيث اعتبرت الثقافة الروسية بشكل عام «تقدمية»، والإسلامية بشكل عام «رجعية»، مما أدى إلى انتهاك أعمق وأشمل لوعي الذات الثقافي بالنسبة للشعوب الإسلامية». (١٤)

«غير أن سياسة الدولة تجاه الدين أخذت بالتغير الجزئي والتدريجي مع بداية الحرب الوطنية العظمى ضد الغزو الألماني الهتلري؛ إذ اضطرت السلطة بفعل الخطر الشديد المحيق بها إلى إعادة النظر بمواقفها من الدين والمؤسسة الدينية .. مما ساهم في إعادة هيكلة المؤسسة الدينية واسترجاع بعض من هيبتها المهدورة، ففي أعوام ١٩٤٣م-١٣٦٢هـ، ١٩٤٤م - ١٣٦٣هـ أعيد تشكيل مفتيات مسلمي القوقاز(داغستان) وما وراء القوقاز(باكو) وآسيا الوسطى وكازاخستان. وقدمت بعض الامتيازات لعلماء الدين مثل إعفائهم من الخدمة العسكرية.

وفي الوقت الذي ساعدت الدولة على إنشاء المفتيات الجديدة، فإنها سعت لإخضاعها غير المباشر من خلال رؤسائها ومراقباتها دائماً، مما أفرغ المرجعيات الدينية (الروحية) من صدق أقوالها وأفعالها، وجعلها في حالات عديدة ألعوبة في يد السلطة .. غير أن هذه السياسة لم تكن معزولة في الخمسينيات والستينيات عن جملة التغييرات التي حصلت في العالم آنذاك بشكل عام، والإسلامي بشكل خاص، وظهور الدول المستقلة حديثاً جعل من الإسلام في روسيا عاملاً في السياسة الدولية الخارجية، ومن هنا إعادة الاهتمام بترميم المساجد وخلق سلالات النخبة الدينية الخاضعة خضوعاً تاماً للسلطة وأجهزتها الأمنية». (١٥)

وفي الوقت الذي اتبعت فيه السلطات الشيوعية أسلوب العنف والتنكيل ضد أي قوة تظهر داخل الاتحاد السوفييتي، وخاصة النشاط الإسلامي، لم تبرز حركات إسلامية مؤثرة تستطيع مجابهة مخططات التغييب الشيوعي للدين، غير أن أصحاب الطرق الصوفية نجحوا في نشر بعض شعائر الإسلام وسط مسلمي الاتحاد السوفييتي وآسيا الوسطى عن طريق

التحركات والأنشطة السرية.

«ومما لا شك فيه أن دفاع أهل شمال القوقاز المستميت عن الإسلام يرجع في جانب كبير منه إلى أنشطة الطرق الصوفية، وهي أنشطة لم تستطع الحملات الضخمة ضد الدين في العشرينيات والثلاثينيات أن تقضي عليها ، بل دفعتها للعمل السري، وفي السنوات الأخيرة ظهرت بشكل علني وأصبحت تمارس دوراً متنامي النشاط.

إن الصوفية في شمال القوقاز كانت جهودها موجهة للتنظيم وتجنيد الأعضاء والتعليم والإدارة الذاتية، وحاولت الحفاظ على قوة الدفع الدينية من خلال دعوة الناس إلى الدين، وكذلك إعطاء دروس دينية وجمع ضرائب وتنفيذ أحكام الشريعة، وعلى الرغم من أن الطرق الصوفية قد ظلت على هامش النظام السياسي إلا أنها كانت مؤثرة للغاية».[١٦]

٤- المسلمون في روسيا بعد تفكك الاتحاد السوفييتي:

يتركز مسلمو روسيا في أربع عشرة جمهورية ووحدة إدارية في منطقتين مهمتين بالنسبة لجغرافية روسيا السياسية، وهما: منطقة القوقاز الشمالي الحدودية، ومنطقة الفولغا والأورال في قلب روسيا. وتشمل منطقة القوقاز الشمالي سبع جمهوريات هي: الشيشان، أنجوشيا، وداغستان، وأوسيتيا الشمالية، وكبردين- بلقاريا، وقارتشي-شيركيسيا، والأديغة. والجمهوريات السبع تسكنها أغلبية إسلامية، بينما تشتمل منطقة الفولغا والأورال على ستّ جمهوريات وإقليم إداري على حدودها مع كازاخستان وهي: تترستان، وبشكيريا، وتشوفاش، وموردوفيا، وماري يل، وأودمورت، إضافة إلى وجود المسلمين كذلك في وحدة إدارية كبرى هي إقليم أورنبيرج[١٧].

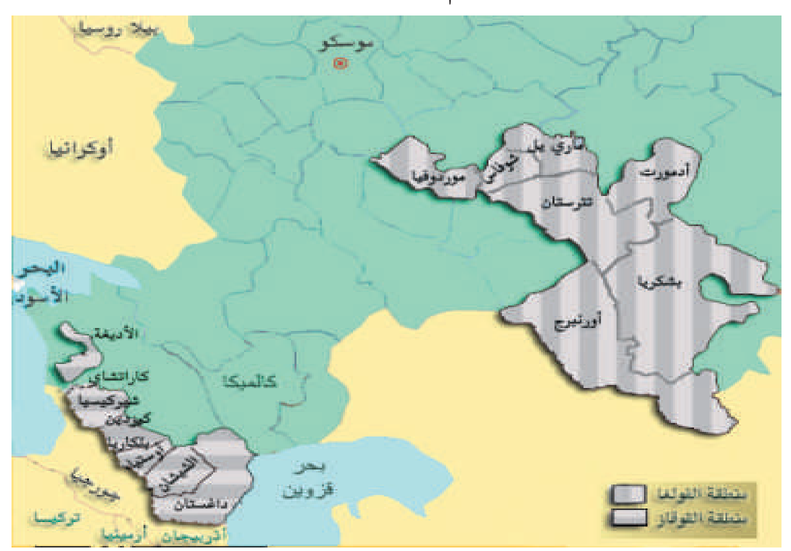
يقع إقليم القوقاز -كما هو مبين بالخريطة رقم (١)- على الحدود الجنوبية لروسيا متاخماً لأذربيجان وجورجيا، كما يتوسط القوقاز خاصرة آسيا بين بحر قزوين والبحر الأسود.

ويمثل الإقليم -لكونه حلقة وصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب -حضارة أورو- آسيوية؛ إلا أن التأثير الثقافي الآسيوي أكثر وضوحاً.

ويقطن القوقاز أكثر من ٥٠ شعباً، يتحدثون بلغات مختلفة ولهجات متنوعة.

بينما تقع منطقة الفولغا والأورال في قلب روسيا وعلى حدودها مع كازاخستان. ويوجد بالمنطقة نهر «الفولغا» شريان الحياة الرئيسي لوسط روسيا، فضلاً عن أن منطقة الأورال

خريطة رقم(٢): أماكن تركز المسلمين



جمهوريات منطقتي الفولغا والأورال (يمين) وشمال القوقاز (يسار)

تمثل معبراً استراتيجياً مهماً في التاريخ الروسي؛ إذ إن التطلع الروسي بالتوسع شرقاً وصولاً إلى مياه المحيط الهادي يعطي أهمية خاصة لهذه الأراضي وما جاورها.

يبلغ إجمالي عدد سكان جمهوريات القوقاز السبع -كما هو موضح في الجدول رقم(١)- ما يقرب من ٧ ملايين نسمة، وإذا استثنينا داغستان والشيشان فلا نجد أيّ جمهورية من تلك الجمهوريات يتجاوز عدد سكانها المليون نسمة.

بينما تتميز جمهوريات الفولغا والأورال -كما هو مبين في الجدول (٢)- بالكثافة السكانية النسبية مقارنة بجمهوريات القوقاز. ويزيد مجموع سكان الجمهوريات الست، مضافاً إليها سكان إقليم أورنبرج عن ١٤ مليون نسمة.

«ويبلغ إجمالي عدد المسلمين في المنطقتين نحو ١٦-١٧ مليون نسمة، إضافة إلى ٥-٦ ملايين آخرين يتوزعون بشكل مبعثر عبر الأراضي الروسية. وينتمي المسلمون في روسيا إلى عائلات عِرْقية لغوية متباينة من القوقازية الشمالية إلى الألطاية والهندو-أوروبية. وتتشعب هذه العائلات في شجرة متباينة من ٤٠ مجموعة عِرْقية. حيث ينتمي السكان في

جدول رقم (١) التكوين السياسي لجمهوريات القوقاز:

الجمهورية	العاصمة	عدد السكان (٢٠٠٢)	المساحة km²	النظام السياسي
الشيشان	جروزني	١,١٠٣,٦٨٦	١٥,٣٠٠	جمهوري
أنجوشيا	ماجاس	٤٦٧,٢٩٤	٤,٠٠٠	جمهوري
داغستان	مخاتشكالا	٢,٥٧٦,٥٣١	٥٠,٣٠٠	جمهوري
أوستيا الشمالية	فلادي قفقاس	٧١٠,٢٧٥	٨,٠٠٠	جمهوري
كبردين- بلكاريا	نالتشيك	٩٠١,٤٩٤	١٢,٥٠٠	جمهوري
قارتشي - شيركيسيا	شيركسك	٤٣٩,٤٧٠	١٤,١٠٠	جمهوري
الأديغة	مايكوب	٤٤٧,١٠٩	٧,٦٠٠	جمهوري

المصدر : http://en.wikipedia.org

جمهورية صغيرة مثل داغستان إلى ١٢ مجموعة «إثنو-لغوية» .[(١٨)]

ويتعرض المسلمون في منطقة شمال القوقاز لعمليات تنصير مستمرة، فضلاً عن تشجيع العائلات الروسية القادمة من المناطق الباردة كسيبريا وغيرها للاستقرار في شمال القوقاز، وفي المقابل وضع العراقيل أمام عودة المُهَجَّرين في الخارج.

وبعد أن أعلن الرئيس السوفييتي الأسبق غورباتشوف عن سياسته الجديدة «العلنية وإعادة البناء»، والسماح لأصحاب الديانات أن يمارسوا شعائرهم الدينية؛ فُكَّتْ بعضُ القيود عن مسلمي روسيا، وسُمح لهم بممارسة شعائر دينهم، وأُعيد بناء المساجد، فعاد الإسلام إلى الظهور من جديد، وتدفق المسلمون على المساجد، وبدءوا يتعلمون مبادئ دينهم وتعاليمه.

وبقيت المشكلة الأساس المتمثلة في أن العقلية الروسية التي اعتادت التسلُّط لم تكن لتسمح لمسلمي الاتحاد الروسي باستعادة كاملة لهويتهم وثقافتهم التي تحمل معاني التميُّز والمقاومة؛ ومن ثَمَّ عدم الذوبان، الأمر الذي يقف عائقًا أمام سياسة الروسنة والتذويب القسري التي تمارسها السلطات الروسية ضد المسلمين.

من هنا كان التضييق الروسي على المسلمين، فعلى الرغم من سياسة الانفتاح التي أعلنتها

جدول رقم (٢) التكوين السياسي لجمهوريات الفولغا والأورال

الجمهورية	العاصمة	عدد السكان (٢٠٠٢)	المساحة km²	النظام السياسي
تتارستان	قازان	٣,٧٧٩,٢٦٥	٦٧,٨٣٦	جمهوري
بشكيريا	أوفا	٤,١٠٤,٣٣٦	١٤٣,٦٠٠	جمهوري
تشوفاش	شيبوكساري	١,٣٤٦,٣٠٠	١٨,٣٠٠	جمهوري
موردوفيا	سارنسك	٨٨٨,٧٦٦	٢٦,٢٠٠	جمهوري
ماري يل	يوشكار أولا	٧٢٧,٩٧٩	٢٣,٢٠٠	جمهوري
أدمورت	أجنسيك	١,٥٧٠,٣١٦	٤٢,١٠٠	جمهوري
إقليم أورنبرج	أورنبرج	٢,١٧٩,٥٥١	١٢٤,٠٠٠	جمهوري

المصدر: http://en.wikipedia.org

روسيا، إلا أنها لم تُمكِّن المسلمين من ممارسة كامل حقوقهم الدينية، بل حصرتها في إطار رسمي وحدود ضيقة لا تتجاوز كثيرًا أعتاب المساجد والمناسبات الدينية.

وبقيت «الشعوب الإسلامية في روسيا لها كياناتها القومية (وجدانياً)، والإدارية السياسية (شكلياً) وهو الواقع الذي يصعب التخلي عنه؛ لأنه المقدمة الضرورية لتطوير وعي الذات الحر، ومقدمة البحث عن جذور الوحدة الثقافية الروحية للمسلمين في روسيا». (١٩)

٥- الأهمية الاستراتيجية للجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية:

شكَّلت الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية -لموقعها الاستراتيجي وثرواتها المتنوعة- أهمية كبرى للاتحاد السوفييتي قبل انهياره، سواء ما كان منها داخل منطقة الفولغا والأورال، أو ما كان منها في منطقة القوقاز، وزادت هذه الأهمية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

ومثَّلت القوقاز نقطة اتصال بين أوروبا ووسط آسيا، ولهذا فإن المؤرخين يعدون القوقاز أهم مراكز التحركات السياسية والاقتصادية والهجرات البشرية منذ ظهور الإنسان على وجه الأرض، وقد لعب موقع القوقاز دوراً بارزاً في نقل الحضارات بين الشمال والجنوب.

وتعد المنطقة الطريق البري الوحيد لقارة أوروبا نحو آسـيا والشـرق الأوسط من حدودها الجنوبية الشرقية.

وقبيل تفكك الاتحاد السـوفييتي كانت المناطق الإسلامية في القوقاز تقع بعيدة نسبياً عن حـدود روسـيا مع جيرانها، حيـث مثلت أرمينيـا وأذربيجان وجورجيا مناطـق تُخُوم داخل الاتحاد السوفييتي؛ أما الآن فإن منطقة القوقاز الإسلامية ازدادت أهميتها بعد انهيار الاتحاد السوفييتي إذ أصبحت تمثل الحدود الدولية لجنوب روسيا مع جيرانها.

ونظراً لطبيعة المنطقة الزراعية فإنها تعد سـلة خبز للاتحاد السـوفييتي السـابق ومن بعده روسيا الاتحادية.

كما تزداد أهمية القوقاز بالنسـبة لروسـيا -بعـد تفكك الاتحاد السـوفييتي- بعد حرمانها من المنافذ السـاحلية التي فقدتها مع استقلال أوكرانيا وجورجيا وأذربيجان وأرمينيا؛ والتي كانت منافذ لها إلى بحر قزوين والبحر الأسـود، ومن ثَم فإن روسـيا غير مستعدة لفقدان أيّ منفذ بحري آخر.

يضاف إلى ذلك أهمية بحر قزوين الغني بالنفط، والذي يدفع روسـيا لاسـتمرار سيطرتها على القوقاز، والمحافظة عليها بأي وسيلة، خاصة في ظل المحاولات الأمريكية والأوروبية لاختراق المنطقة واستغلال ثرواتها.

وزادت أهمية المنطقة الأمنية مع التوغل الأمريكي في آسـيا الوسـطى؛ إذ وصلت القوات والقواعد العسـكرية الأمريكيـة إلى أماكن كانت إلـى وقت قريب تمثل محيطاً اسـتراتيجياً وأمنياً مهماً لروسـيا مثل جورجيا، وصار القوقاز - خاصة- بالقرب من هذه القواعد، مع ما قد يمثله ذلك من خطورة أمنية على الأراضي الروسية.

يضـاف إلى ذلك وجود الغاز الطبيعي والثروات النفطية والمعدنية المتوافرة في جمهورية الشيشـان القوقازيـة، كمـا أن بهـا صناعات مهمة تشـمل مصانـع تكرير البتـرول، وصناعة البتروكيماويات، والصناعات الغذائية.

لكل هذه الأسباب مثلت منطقة القوقاز أهمية بالغة، ليس فقط لروسيا، بل لأمريكا والغرب وغيرهما من الدول الإقليمية بالمنطقة.

وإذا نظرنا إلى الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية في منطقة الفولغا والأورال - وبخاصة جمهورية تترسـتان- نجد أهميتها تبرز« فـي كونها تمثل معبراً اسـتراتيجياً مهماً في التاريخ

الروسـي، وتعد واحدة من أهم مناطق إنتاج وتصنيع النفط والغاز في روسـيا. ومن تترستان يبدأ خط أنابيب البترول إلى شـرق أوروبا، والمعروف باسـم خـط (الصداقة). وبالأراضي التترية موارد معدنية وزراعية متعددة، وهو ما ينعكس على مسـتوى رخاء ورفاهية السـكان التي تبدو أفضل من نظيرتها في كثير من الأقاليم الروسية.

وإضافـة إلـى امتلاكها ثروة مائيـة وثروة كبيرة من الغابـات والتربة الخصبة تُعَدّ تترسـتان مركزاً صناعياً مهماً لروسيا. وكان الإقليم الذي تقع فيه تترستان (الأورال) هو الحصن الذي انتقلت إليه الصناعات السـوفييتية إبان الهجوم الهتلري على الاتحاد السوفييتي ومحاصرته لـ« لينجراد» واقترابه من احتلال «موسكو»؛ وهو ما يجعل تترستان واحدة من أحجار الزوايا الرئيسة في البيت الروسي». [٢٠]

كمـا «يميز منطقة حـوض الفولغا أنها ذات اقتصاد متطور؛ ففيهـا توجد الصناعات الثقيلة (الطائـرات والدبابـات والصواريـخ والفضائيـات، والصناعـات النفطيـة والكيماويـات، والسـيارات وغيرها) والزراعة الكبيرة، حيث تحتل بشـكيريا –على سـبيل المثال– المرتبة الرابعة؛ وأحياناً ترتفع إلى المرتبة الثالثة في إنتاج الحبوب في روسـيا، وفيها أيضاً العشرات من المعاهد العلمية والأكاديميات» . [٢١]

٦– واقع الإسلام في روسيا:

أدى تعرُّض الإسـلام لتشويه مُتعمَّد وضغوط متواصلة اسـتمرت قروناً إلى جعله في نظر غالبية مسـلمي روسـيا مجموعة محدودة من العـادات والأعراف التي يُدَاخلهـا الكثير من الانحرافات بعيداً عن العقائد والأحكام الصحيحة.

«هكذا تحوَّل الإسـلام في نظر قطاع كبير من الناس إلى كلمة يرددونها سـراً ليواجهوا بها الموت (الشهادة)، وامتناع عن فعل الزنا.

وَتُرْوَى لنا القصة التي شـاهد البعض تفاصيلها في التلفاز عن ذلك العالِم في تلك البلاد، الذي صنع حفلاً بهيجاً بمناسـبة افتتاح مسـجد، ودعـا إلى الحفل الكبراء والسـفراء وعِلْيَة القوم، وافتتح المسجد بأن كَسَرَ على عتبته زجاجة من الشمبانيا، وعدسات التلفاز تُصَوِّر!

وهذا العالِم، أو رجل الدين، يقولون : إنه من الفاهمين والدارسين لتعاليم الإسلام وعلومه، وهـو يتقن العربية ويقرأ القرآن ! ولكنه اختلاط المفاهيـم واضطراب الثقافة، والخلط البيِّن

في الوجدان بين ما ينبغي أن يكون، وما لا ينبغي أن يُفعل، وافتتاح المسجد كتدشين السفينة الجديدة.. لا فرق بينهما !

ولا عجب ولا غرابة أن يقيم رجل دين في تلك البلاد حفلاً راقصاً في قاعة إسلامية على أنغام الموسيقى للشابات المسلمات والشباب المسلم، فهي نفس القصة: اختلال الثقافة، واختلاط المفاهيم». (٢٢)

كما أن اندفاع المسلمين نحو دينهم مع أول فرصة أُتيحت لهم يؤكد أن الوعي الديني لم يَخْتَفِ من أوساطهم تماماً ولم يقتلع كلية من نفوسهم كما كان مخططاً لهم، مما يدل على أن الإسلام يمثل لهم عنصراً هاماً في نسيج هويتهم.

اندفاع المسلمين نحو دينهم مع أول فرصة أُتيحت لهم يؤكد أن الوعي الديني لم يَخْتَفِ من أوساطهم تماماً

ويبدو المشهد الإسلامي متبايناً في جمهوريات المنطقة، بمعنى أن درجة الالتزام الديني ومظاهره تختلف بين منطقة وأخرى؛ ففي الشيشان مثلاً نرى وضوح مظاهر العودة إلى الإسلام؛ حيث الشعور الإسلامي الذاتي لدى الشعب الشيشاني أقوى بكثير مما هو موجود لدى بقية شعوب روسيا؛ لتأثر الشيشان بما يدور حولها في الجمهوريات والدول المجاورة من صحوة إسلامية، ويتمثل كل ذلك في الاهتمام ببناء العديد من المساجد والمدارس الدينية، والاهتمام بالعلوم الشرعية، وعودة الالتزام ببعض الشعائر الإسلامية التي كانت في طريقها للاندثار في العهد السوفييتي المنتهي.

«وفي سبعينيات القرن الماضي بدأت ظاهرة ما يعرف بـ (الوهابية) في الظهور، وليس المقصود بالوهابية هنا سوى التسمية التي أطلقتها في بداية الأمر «الإدارة العامة لشئون المسلمين في داغستان» على الحركات الإسلامية بشكل عام، وهي إدارة كانت في الأغلب تمثل استمرار الخنوع للسلطة (القيصرية والسوفييتية والديمقراطية) .. ثم تناقلت هذه التسمية، وتمسكت بها واقتنعت بفاعليتها وسائلُ الإعلام والسلطات الروسية من بين العسكر والشرطة والأمن!! وليس مصادفة أن تطابق وسائل الإعلام والسلطات بين هذه الحركات وبين ما تدعوه بالقوات (غير الشرعية)، و(الحركات الانفصالية) واتهمتهم القوى الخاضعة في الأغلب للسلطة بمختلف الاتهامات، بحيث جرى قانونياً تحريم وتجريم (الوهابية)

في داغســتان، كما جرى وصفهم في إعلان مؤتمر مســلمي شمال القوقاز المنعقد في مدينة غروزني عام ١٩٩٩م – ١٤١٩هـ، بالتيار الرجعي المتطرف في الإسلام.

أما في الواقع، فإنها حركات ظهرت منذ سبعينيات القرن العشرين، ونمت في الثمانينيات، وبرزت قوتها المباشرة في التسعينيات، آنذاك تجلت بوضوح ظاهرة التسييس العارم للحركات الإســلامية. كان المســار العام والأفكار الأولية لهذا التيار يصبان في نفس قوالب وتقاليد الرد الإصلاحي القائل بضرورة تطهير الإســلام من البـدع. انطلق هذا التيار مــن المبدأ العام القائل بأن القرآن والسنة هما إماما المسلمين، ومن ثم لا مصدر حق مطلق غيرهما.

التأثيـر الإســلامي بعد انهيـار الاتحاد السوفيتي يمثل أحد العناصر الصاعدة في الحياة السياسية الروسية المعاصرة

ارتبطـت الحركة الوهابية فــي القوقاز بشــخصية الأخويين بهاء الديــن وعباس كيبيدوف وأختاييف، عندما أسســا أول حلقة سرية في ســبعينيات القرن لدراسة اللغة العربية وأصول الدين الإســلامي! وفي بدايــة الثمانينيات جرى قمع هذه الحــركات من جانب قوات الأمن والشرطة والحزب! غير أنها عادت للظهور وبقوة منذ بداية التسعينيات وتبلورت في حركة فكرية سياســية تحت اســم (الجماعــة)، وأخذت هذه الجماعات تنتشــر فــي أغلب المدن والقرى القوقازية. غير أن ممارسة القمع والقهر الموجهة ضدهم أدى إلى ازدياد شعبيتهم .

وبعــد مــوت أختاييف عــام ١٩٩٨م – ١٤١٨هـ تحولت قيادة التيار إلــى كيبيدوف، الذي انتقل للعمل في شيشانيا، وهناك حصل تأييد ودعم سياسي وأيديولوجي ومعنوي من جانب الشخصيات المؤثرة فيها آنذاك مثل أودغوف وياندربييف وشامل باساييف، وفي عام ١٩٩٩ أسس كيبيدوف جيش القوقاز الإسلامي». (٢٣)

٧- المد الإسلامي في روسيا:

بدأ التأثير الإســلامي بعد انهيار الاتحاد الســوفييتي يمثل أحد العناصر الصاعدة في الحياة السياســية الروســية المعاصرة. «وقد نشأت في موسكو تجمعات إســلامية النزعة والتوجه، ومن أقواها وأكثرهــا عدداً أولئك الذين ينتمون إلى أصول تترية، ويوجد أيضاً تجمعات من شمال القفقاس». (٢٤) وبدأ النشاط الإسلامي السياسي من خلال حركات إسلامية في (يونيو

١٩٩١م، ذو القعدة ١٤١١هـ) مع « ظهور حزب النهضة الإسلامية، والذي تشكَّل في مؤتمر للإسلاميين في استراخان في جنوبي روسيا. وجعل مهمته الأساسية إرجاع المسلمين إلى حظيرة الإسلام، وتطهير الدين الإسلامي من مخلفات وبقايا مراحل الانحطاط والمرحلة السوفييتية، وذلك من خلال الرجوع إلى مبادئ الإسلام الأولى. وصار هذا الحزب النواة لحركة إسلامية سياسية عبر كل دول ما بعد الاتحاد السوفييتي... وقد عـدَّد جابروف في عام ١٩٩٩م - ١٤١٩هـ، الحركات الإسلامية التي تعمل على مستوى روسيا في: المجلس الإسلامي، واتحاد مسلمي روسيا، وحركة (نور)، والحركة الاجتماعية الروسية (مسلمو روسيا)، وحزب النهضة الإسلامية، وحزب التحرير الإسلامي. كما عـدَّد المنظمات الإقليمية في داغستان وترستان وغيرها، مثل حزب (الطريق الإسلامي) في الشيشان، والحزب الإسلامي الديمقراطي في داغستان».(٢٥)

وعلى الرغم من أن الصعود الإسلامي في روسيا محدود لم يتكامل بعدُ في معالم واضحة سياسياً وفكرياً بسبب عقود المطاردة وحداثة النشأة، إلا أن وجود المسلمين في السنوات الأخيرة أصبح ملحوظاً، خاصة في أوقات الانتخابات؛ التي يتزايد دورهم فيها من عام إلى عام. وتسعى السلطات الروسية إلى وضع ذلك في الاعتبار في سياساتها الخاصة مع العالم العربي والإسلامي، وكذلك إزاء الملايين من مسلمي روسيا. ولعل أبرز مثال على ذلك مبادرة الرئيس فلاديمير بوتين بشأن انضمام روسيا الاتحادية إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، على الرغم من أن غالبية السكان بها غير مسلمين، وزيارته إلى مصر (أبريل ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ) والتي تعد أول زيارة لرئيس روسي إلى مصر منذ سنوات طويلة، وحرصه على لقاء الأمين العام للجامعة العربية خلافاً للمعهود في تلك الزيارات، الأمر الذي يدل بوضوح على اهتمام قوي لروسيا بالعالم الإسلامي، وتنشيط العلاقات مع دوله وخاصة دول الوطن العربي.

وعلى الرغم من أن غالبية المسلمين ينحدرون من شعوب أصيلة شاركت في تنمية روسيا؛ إلا أن نفوذهم ومشاركتهم السياسية لا توازي إسهاماتهم؛ ولا نسبة وجودهم في المجتمع الروسي. وعلى الرغم من أن الكثير من الدوائر السياسية داخل روسيا الاتحادية تشتمل على ممثلين عن المسلمين، إلا أن تأثيرهم ضعيف؛ بسبب ضعف التنظيم السياسي للزعماء المسلمين؛ ونقص الخبرة السياسية؛ فضلاً عن أن الجميع يتحرك في إطار رسمي يرسمه

الأمن الروسي، كما أن الخلافات بين الزعامات والهيئات الدينية تُلقي بظلالها على الوضع السياسي لمسلمي روسيا.

وتبرز مشكلة الصورة السلبية التي رسمها الإعلام الدولي والإعلام الروسي للدين الإسلامي على مدار سنوات الحرب في الشيشان كأحد أهم قضايا مسلمي روسيا، في ظل ضعف إعلامي ملحوظ لمسلمي الاتحاد الروسي فَوَّت عليهم الكثير من فرص التأثير؛ حيث إن المسلمين في روسيا يعانون من هجوم شرس تشنه وسائل الإعلام التي يسيطر اليهود على نسبة كبيرة منها، والتي تنقل صورة مشوهة عن الإسلام.

«والمشكلة الرئيسية التي تواجه الصحافة الإسلامية الروسية هي ضعف التمويل وعدم توفر الكُتّاب المؤهلين لتناول الأمور الشرعية، ولهذا يجري الاعتماد بصورة رئيسية على الترجمة من المطبوعات والمؤلفات المنشورة في العالم العربي والإسلامي، كما تُستغل المطبوعات الإسلامية أحياناً للهجوم على الأطراف المتصارعة على السلطة في الساحة الإسلامية .

والحضور الإسلامي في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة ضعيف جداً، وقد استمرت مؤسسة (اقرأ) بتقديم برامج إذاعية وتلفزيونية بهدف التوعية الإسلامية وذلك على مدى عام كامل، ثم توقف تمويلها، وتوقف البث أيضاً، وهنا تبرز مشكلة نقص الكوادر. وكان بالمستطاع تأسيس محطات إذاعية وتلفزيونية إسلامية تعمل بانتظام لو تولت أية جهة إسلامية هذه المهمة».[٢٦]

ثانياً : روسيا ومشاريع الاستقلال

سيطر الفكر الاستعماري على العقلية الروسية منذ القدم، وأثمر ذلك لديهم فكر التوسع على حساب الآخرين وعقيدة الغزو، سواء بمرجعية مسيحية أو ماركسية، تلك العقيدة التي قوَّتها دوافع جغرافية سياسية في فكر الحكام الروس، وما نتج عنها من مفاهيم السيطرة واستعمار الشعوب، ومن بين هذه الشعوب كان للمسلمين حظٌّ كبيرٌ من الاستهداف الاستعماري الروسي.

وفي سبيل تحقيق أطماعها الاستعمارية خاضت روسيا القيصرية حروباً متتالية ومتواصلة لقرون عديدة؛ للسيطرة على شعوب المنطقة، خاصة مسلمي آسيا الوسطى والقوقاز، ومنذ

القرن السادس عشر الميلادي قتلت روسيا مئات الآلاف من المسلمين على الأراضي الإسلامية من جبال القوقاز حتى آسيا الوسطى؛ إرضاء لأطماعها التوسعية.

منذ انهيار الاتحاد السوفييتي سنة ١٩٩١م وروسيا تسعى للحفاظ على وضعها السابق كقوة عظمى، لا سيما بعد اهتزاز صورتها أمام العالم بعد سقوطها في المستنقع الأفغاني. كما أن الكرملين الذي تلقى ضربات متتالية؛ بفقده سلطته على دول البلطيق، والخسائر الكبيرة التي مُنيَ بها بعد ضياع ثروات الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى؛ بعد أن استغلها لعقود طويلة، وضياع الكثير من مناطق نفوذه الاستراتيجية؛ يحاول اليوم تحسين صورته، وإثبات أن لديه من القوة ما يتمكن به من الحفاظ على ما تبقى من إرثه الاستعماري السابق.

لذا فإن روسيا تصر على عدم قبول الأفكار الاستقلالية التي تعالت أصواتها مؤخراً في بعض المناطق الروسية مطالِبةً بالاستقلال؛ مدفوعة ببواعث ومحركات دينية أحياناً، وقومية واقتصادية أحياناً أخرى- خاصة بعد تمكن العديد من الجمهوريات السوفييتية السابقة من الحصول على الاستقلال؛ لأن روسيا تعتبر أن استقلال أي جمهورية أو مقاطعة سوف يؤدي إلى نتائج لن تستطيع تحملها، وسيشعل ذلك المطالب الانفصالية للآخرين بصورة يستحيل معها ضمان الحفاظ على استقرار ووحدة الاتحاد الروسي.

١- دوافع الإصرار الروسي على رفض مشاريع الاستقلال :

- رغبة روسيا في استعادة وضعها الدولي كقوة عظمى، وحلمها بتكوين إمبراطورية روسية على غرار «أوروبا الموحدة».

- الخوف من تفكك الاتحاد الروسي؛ إذ تخشى روسيا من حصول إحدى جمهورياتها أو وحداتها على استقلالها؛ لأن ذلك سيشجع -ولا شك- آخرين على المطالبة بالاستقلال أيضاً. «يقول نيكولاس ريدمان محلل الشؤون الروسية في وحدة المخابرات الاقتصادية في لندن في معرض حديثه عن الوضع في الشيشان: إن روسيا كافحت للسيطرة على منطقة شمال القوقاز، وتعتبر نفسها قوة حضارية هناك. وخسارتها لجمهوريات أخرى في المنطقة عن طريق الاستقلال مثل جورجيا وأرمينيا وأذربيجان يدفعها إلى التمسك بباقي الجمهوريات التابعة لها. إن روسيا لديها مخاوف لها ما يبررها؛ إنها قد لا تعرف أين ستتوقف الأمور إذا

بدأ تفكك الجمهوريات وانفصالها». [٢٧]

– إعادة الهيبة أمام العالم وأمام شعوبها بعد أن فقدت الكثير من نفوذها وهيبتها؛ بسبب الضعف الذي أصابها بعد تفكك الاتحاد السوفييتي؛ وخسارتها لكثير من مناطق نفوذها الأمني والاستراتيجي السابق؛ فضلاً عن موقفها الضعيف بعد حرب الشيشان الأولى والتي خرجت منها أكثر ضعفاً.

– السيطرة على الثروات الطبيعية والاستراتيجية في جمهوريات الاتحاد الروسي خاصة الإسلامية، مثل تترستان الغنية بالغاز، والشيشان ذات الأهمية الكبيرة في إنتاج النفط وتكريره، كما تُعَدّ الشيشان ممراً مهماً لأنابيب النفط في كل المنطقة؛ فمن جروزني العاصمة تمر الأنابيب الآتية من «باكو»، على بحر قزوين، إلى «نورورسيك»، على البحر الأسود.

– كما أن إقليم شمال القوقاز يعتبر النافذة الروسية على البحر الأسود، وجمهورية الشيشان إحدى الجمهوريات الساعية بشدة للاستقلال تقع في قلب هذا الإقليم، كما أنها تمثل عصب شبكة المواصلات بين روسيا وشمال القوقاز، بالإضافة إلى قربها من بحر قزوين ذي الاحتياطي النفطي الكبير.

– توجيه ضربة وقائية إلى الفكر الاستقلالي، الذي تخشى روسيا من انتشاره في بقية شعوبها؛ إذ تعالت الأصوات المطالبة بالاستقلال خاصة في إقليم القوقاز المشهور بدعواته الاستقلالية؛ خاصة في الشيشان وداغستان. ولا ننسى أن منطقة القوقاز هي منطقة تصدير الثورات منذ القرن الثامن عشر، ولذا يصعب على روسيا التغاضي عن دعوات الاستقلال التي تهب رياحها من تلك المنطقة.

٢- تحركات روسية للحفاظ على الوحدة:

اتخذ الرئيس الروسي بوتين منذ وصوله إلى السلطة إجراءات عدة تصب في صالح الحفاظ على وحدة الاتحاد الروسي، وتقوية البناء الفيدرالي، وتعظيم نفوذ المركز الروسي على حساب الأطراف، منها :

– أضعف بوتين خلال الفترة الماضية سلطات حُكّام المناطق والأقاليم الروسية بشكل أدى إلى تقوية المركز؛ وسحب البساط من تحت أقدام كل من كان يحاول السعي للاستقلال عن روسيا. فقد أصدر بوتين مرسوم التقسيمات الجديدة للفيدرالية الروسية،

ووضَع الجمهوريات والوحدات الروسية كلها تحت إشراف المباشر؛ لمنع تكرار التجربة الشيشانية؛ ولتخوفه من امتداد الأفكار الاستقلالية إلى باقي الجمهوريات.

- «عيَّن بموجب هذا المرسوم أصدقاءه من رجال الاستخبارات وجنرالات الجيش كممثلين له في المناطق الإدارية السبع الجديدة - حسب المرسوم - وهم يتمتعون بصلاحيات خاصة، وسيكونون على صلة مباشرة بالرئيس بوتين وإدارته. وجنباً إلى جنب سيعمل مع كل ممثل للرئيس ممثل خاص للادعاء العام وآخر لوزارة العدل وممثل لوزارة الداخلية. ونشير هنا إلى تعيين قائد القوات الروسية السابق في القوقاز الجنرال فيكتور كازانتسيف ممثلاً لبوتين بكامل الصلاحيات في منطقة شمال القوقاز، أكثر المناطق حساسية، وهو ما يعتبر بداية لحكم المنطقة بشكل مباشر من موسكو» .(٢٨)

إقليم شمال القوقاز يعتبر النافذة الروسية على البحر الأسود والشيشان تقع في قلب هذا الإقليم

- استخدام سياسة القمع العسكري لوأد المحاولات الاستقلالية داخل الجمهوريات الروسية كما هو حادث في الشيشان، وظهرت بوضوح سياسة القبضة الحديدية لإدارة الصراع مع الشيشان في الأوامر التي أصدرها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين باعتقال كل مَن يُشتبه بمشاركته في المعارك التي استهدفت مقر وزارة الداخلية لإقليم كاباردينو بلكاريا ومقر جهاز الأمن الفيدرالي الروسي [FSB] ومراكز الشرطة وشهدتها مدينة نالتشيك في ١٣/ ١٠/ ٢٠٠٥م - ١٠ رمضان ١٤٢٦هـ، وقَتْل كل من يقاوم أمْر الاعتقال؛ وهو ما أنذر في حينه بمذبحة تشهدها المدينة تكراراً لما حدث في مدينة بيسلان عندما قررت السلطات الروسية قتل جميع منفذي حادثة بيسلان ؛ مما أدى إلى مقتل العشرات من الأطفال على أيدي القوات الروسية. (٢٩)

وعلى الرغم من أنه قد ثبت فيما بعد من خلال تصريحات مسئولين روس - بعضهم في لجنة التحقيق التي أشرفت على التحقيق في حادثة بيسلان- أن المسؤولية تقع على عاتق القوات الروسية التي هاجمت المدرسة، إلا أن الإعلام الروسي قام باستغلال الحادثة لتشويه صورة المسلمين وصعَّدت روسيا من حملاتها القمعية ضد مسلمي المنطقة.

وفيما يرى البعض نجاح مثل هذه العمليات في تحقيق أهدافها، وتسليط الضوء على

القضية الشيشانية فقد اعتبرها البعض الآخر ضربة كبيرة موجهة لإمكانية التوصل لحق تقرير المصير وتسوية القضية تسوية سلمية؛ إذ إن الإعلام الروسي استغل تلك العمليات في تأكيد إلصاق تهمة الإرهاب بالمقاتلين الشيشان وربطهم بمجموعات مصنفة ضمن قائمة الإرهاب الدولي.

- كما لا يخفى أن تداخل القوميات المتعددة داخل جمهوريات ووحدات الاتحاد الروسي لا يعود إلى أوضاع تاريخية بقدر ما يعود إلى أغراض سياسية، خاصةً في العهد السوفيتي؛ للحيلولة دون تكوين أغلبية عِرقية في جمهورية من الجمهوريات؛ لتفويت الفرصة على أي مطالب استقلالية.

تداخل القوميات المتعددة داخل جمهوريات ووحدات الاتحاد الروسي لا يعود إلى أوضاع تاريخية بقدر ما يعود إلى أغراض سياسية

ثالثاً : موقف مسلمي روسيا من الاستقلال

لا يُعَدُّ الفكر الاستقلالي لدى مسلمي روسيا ظاهرة مستجدة، بل شهدت الكثير من الجمهوريات ذات الكثافة المسلمة قديماً محاولات متعددة لمقاومة المستعمر الروسي من أجل الاستقلال، كان من أبرزها الثورة الشعبية الدامية التي قام بها المسلمون التتار والبشكير بقيادة بوغاتشوف (١٧٧٣ : ١٧٧٥م – ١١٨٦ : ١١٨٨هـ) والتي أجبرت القيصرة يكاترينا العظمى (١٧٦٢: ١٧٩٢م – ١١٧٥: ١٢٠٦هـ) على تفهُّم ومراعاة الحقوق الدينية للمسلمين «.. وفي عام ١٩١٧م – ١٣٣٥هـ قام البشكير بحركة قومية إسلامية ضد البلاشفة، فقام الجيش الأحمر بإخمادها واستولى على أراضي البشكير،.. وتحقق مطلبهم في عام ١٩١٩م – ١٣٣٧هـ بحصولهم على الحكم الذاتي وقيام جمهورية بشكيريا عام ١٩٢٣م – ١٣٤١هـ».(٣٠)

وتشهد جمهورية تتارستان منذ عام ١٩٩٠م – ١٤١١هـ مسيرات واضطرابات –وإن كانت خافتة ومحدودة– من أجل الاستقلال « ففي ١٤ من أكتوبر ١٩٩٠م نزل الناس إلى الشوارع يرددون شعار (الله أكبر)، ويقرأ مشايخهم القرآن الكريم، وينادون بعودة ملايين المسلمين من التتار إلى بلادهم بعد أن قضوا ستين عاماً في المنفى».(٣١)

وحين زحف القياصرة صوب القوقاز واجهوا مقاومة عنيفة؛ حشدها عدد من المجاهدين

الشيشان والداغستان، بقيادة الإمام منصور، والإمام شامل، والإمام نجم الدين، الذين ساهموا في ردع الجيش القيصري لسنوات عدة، ومنعوه من إحكام سيطرته على أرضهم، حيث «خاض الداغستانيون حرب عصابات ضد القوات الروسية عام (١٨١٧: ١٨٦٤م- ١٢٣٢: ١٢٨٠هـ)، ودوَّخوا المستعمرين الروس أثناء حكم القياصرة؛ إذ أدى الغزو الروسي لبلاد القفقاس إلى اندلاع حركة وطنية إسلامية عُرفت بالمريدية؛ تولى زعامتها ثلاثة من الأئمة العلماء هم: غازي محمد، وحمزات بك، والإمام شامل الإفاري... واستمرت ثورات الداغستانيين ضد البلاشفة بعد قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م - ١٣٣٥هـ للدفاع عن القفقاس بقيادة الشيخ سعيد شامل والشيخ أوزون حاجي، فبدأت الحكومة السوفييتية الشيوعية في تطبيق سياسة الترويس على الثقافة والتعليم وعمليات نفي وتهجير المسلمين إلى سيبيريا». (٣٢)

كما مثلت محاولات المقاومة الشيشانية وتصديها للاستعمار الروسي في الشيشان في الفترة الشيوعية نموذجاً لرفض الهيمنة الروسية على المنطقة، فقد واجه الشيشان الاحتلال الشيوعي بقوة من خلال ثورات عدة ضد الظلم والقهر الشيوعي، منها ثورة «إبراهيم قلدقت» عام ١٩٣٤م - ١٣٥٢هـ، وثورة (حسن إسرائيلوف) عام ١٩٤٠م- ١٣٥٨هـ وغيرها، وكان الشيوعيون يقمعونها بالحديد والنار.

وفي المقابل كان هناك في العصر الحديث فريق من (الإصلاحيين) المسلمين يعتقد أن العلاقة الجيدة مع روسيا هي الضمان لتطوير المسلمين في روسيا والمناطق المجاورة لها، حيث بنوا تصورهم عن نهضة مسلمي روسيا وكيفية خروج المسلمين من المأزق التاريخي الذي أخذوا يواجهونه في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، في ضرورة الاستفادة من إيجابيات الثقافات الأخرى في مختلف الميادين، والعلمية منها بالأخص، وأقر بعضهم بإمكانية توسع روسيا في المناطق الإسلامية ولكن بشرط مساهمتها في إنهاض المسلمين ثقافياً وعلمياً، وعلى رأس هؤلاء (إسماعيل كسبرالي) (١٨٥١: ١٩١٤م - ١٢٦٧: ١٣٣٢هـ) الذي كتب يقول: «إن مصلحة الدولة (الروسية) تفترض الاستفادة من الجميع بما في ذلك من المسلمين، لذا ينبغي أن تتعامل معهم بصورة إيجابية، وبنفس الوقت طالَب المسلمين بالانخراط الثقافي الفعَّال في الحياة الروسية». (٣٣)

«ووضع إسماعيل كسبرالي بهذا الصدد نظريته عن الوفاق الروسي الشرقي الإسلامي والتي انطلق بها من واقع وجود المسلمين ضمن إطار الدولة الروسية من جهة، وطبيعة العلاقات المتكونة تاريخياً بينهما من جهة أخرى. واعتبر وجود المسلمين في روسيا خيراً لهم؛ انطلاقاً من إمكانية الاستفادة مما توفره الثقافة الروسية المعاصرة، بينما اعتبر طريق العلاقة بين الروس والمسلمين ضماناً للوفاق التاريخي بينهم، لا سيما وأنهما يمثلون - ثقافياً وروحياً- موقع الوسط والحلقة الرابطة بين الغرب والشرق».(٣٤)

وحديثاً تشكلت خريطة روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفييتي؛ بخروج العديد من الدول الإسلامية من سيطرة الاتحاد السوفييتي وحصولها على استقلالها، وبقاء حوالي ٢٠ مليون مسلم ضمن حدود الاتحاد الروسي الجديد.

قويت الروح الاستقلالية لدى مسلمي روسيا خاصة في منطقة القوقاز؛ بسبب الاعتبارات التاريخية والقانونية؛ إذ يحق لأي جمهورية- حسب المفاهيم الفيدرالية - أن تجري استفتاءً على الاستقلال عن الدولة؛ كما حدث في بعض جمهوريات الاتحاد السوفييتي إبان التفكك؛ إذ إن هناك تماثلاً بين الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية في روسيا وغيرها من الجمهوريات السوفييتية الاتحادية التي أعلنت استقلالها، واعترف بها المجتمع الدولي، والمسوغات التي منحت الجمهوريات التي نالت استقلالها الحق في طلب الاستقلال هي نفسها التي تُسوغ لغيرهم طلب نفس الحق. كما أن مسلمي روسيا أصحاب أرض أصليون وليسوا أقلية، وكانت لهم ممالكهم وسلطانهم قبل أن يسقط نفوذهم في الفولغا والقوقاز أمام الاستعمار الروسي.

يقف القانون الدولي بجانب حق تقرير المصير لشعب الشيشان كأُنموذج من الممكن أن تُقاس عليه بعض الجمهوريات الإسلامية؛ إذ إنهم يختلفون عن بقية شعوب الاتحاد الروسي، اختلافاً كلياً، في الدين، والعِرْق، واللغة، والثقافة، والتاريخ. وهم لم يخضعوا للاتحاد الروسي في العهدَين القيصري والشيوعي إلا قسراً؛ يدل على ذلك كفاحهم على مدار عقود وثوراتهم العديدة ضد روسيا والدماء التي أُريقت بين الطرفين على مدار سنوات طويلة.

١- أسباب تزايد الرغبة في الاستقلال لدى بعض الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية

- العامل الاقتصادي :

لعب هذا العامل دوراً هاماً في تنامي الروح الاستقلالية لدى مسلمي القوقاز؛ إذ إن انتشار الفساد وسوء الأوضاع ضرب العديد من جوانب الواقع الروسي، خاصة الفساد الإداري وانتشار الرشاوى، والضعف الاقتصادي الذي ظهر أثره في انخفاض نسبة الدخل العام لمواطني روسيا، خاصة بعد انهيار العديد من المؤسسات والصناعات الكبرى عقب تفكُّك الاتحاد السوفييتي، وانفصال بعض الجمهوريات التي كانت تلعب دوراً مهماً في دعم الاقتصاد الروسي.

ظهر أثر الضعف الاقتصادي في «تذمّر الأوساط الاقتصاديّة من عدم وجود أية إصلاحات تشجّع على الاستثمار والانفتاح، في حين ينتشر الفساد والمحسوبية والإقطاعية على نطاق واسع في روسيا.

وتزايد الاستياء الشعبي من جراء إصلاح اجتماعي لم تُحضَّر له جيداً الحكومة التي ألغت بشكل مفاجئ مساعدات كثيرة موروثة عن النظام السوفييتي السابق، مما أدى إلى إفقار المتقاعدين والطلاب والعسكريين، وقد أُدخل إصلاح آخر لا يحظى بتأييد أيضاً، وهو إلغاء الإعانات للسكن».[٣٥]

كما زاد الضعف الاقتصادي بسبب نزف الأموال المستمر؛ جراء حرب الشيشان، والتي أرهقت ميزانية موسكو بصورة كبيرة؛ بسبب المقاومة العنيفة التي تواجهها القوات الروسية في الشيشان؛ وبسبب طول أمد الحرب.

كأُنموذج لما وصلت إليه الحالة الاقتصادية من ضعف نجد الانهيار الاقتصادي في داغستان على سبيل المثال « بلغ درجته القصوى؛ إذ انخفض فيه الإنتاج الصناعي والزراعي إلى ٧٥٪ عما كان الأمر عليه في المرحلة السوفييتية. وبلغت البطالة أرقاماً قياسية حيث بلغت أكثر من نصف القادرين على العمل؛ وبالأخص بين الشباب». [٣٦]

في حين يلعب العامل الاقتصادي دوراً مغايراً في جمهوريات الفولغا حيث الارتفاع

النسـبي في مسـتوى المعيشـة خاصة تترسـتان-مقارنة بالقوقاز- يقوّي الأصوات الرافضة للمطالب الاسـتقلالية والمُطالِبة بالبقاء ضمن الفلك الروسي؛ للاستفادة من قدرات روسيا المتطـورة، خلافـاً لبعض الأصـوات القومية التـي تتذرع بالمسـتوى الاقتصـادي المتميز لدعم مطالبها الاسـتقلالية؛ إذ يرون أن تترسـتان تستطيع الاعتماد على نفسها اقتصادياً حين استقلالها. ولهذا تسعى روسيا جاهدة لاستعادة دورها الدولي وتجـاوز كبوتها الاقتصادية التي تضخمـت بعـد سـقوط الاتحـاد السـوفييتي، الأمر الذي سـيؤدي في حـال نجاحه لإضعاف الأصوات المنادية بالاستقلال.

زاد الضعـف الاقتصـادي بسـبب نـزف الأموال المسـتمر؛ جـراء حرب الشيشان، والتي أرهقت ميزانية موسكو

- التأثر بالصحوة الإسلامية المحيطة :

بدأت الأفكار والأدبيات الإسـلامية التي عمَّت المناطق الإسلامية القريبة في الانتشار في أوساط مسلمي روسيا – مع ما تحمله من تمايز في غالبها عن الأدبيات الشيوعية- كما لعبت الدور الرئيس في إيقاظ الصحوة الإسلامية الناشئة في جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية؛ فضلاً عن الجوار الأفغاني الذي يُعدّ منطلق الحركات والأفكار الجهادية، كل هذا ساعد في نمو الشعور الإسلامي، والسـعي نحو الهوية المفقودة، وتحريك النزعات الاستقلالية لدى الكثيرين من مسلمي روسيا.

- انتشار ثقافة «الاستقلال»:

تلـك الثقافـة التـي غـزت المنطقة مـع انهيار الاتحـاد السـوفييتي؛ وحصـول العديد من جمهورياته السابقة على الاستقلال، وتعاظم هذه الثقافة مع نجاح حركات التغيير في الدول المحيطـة مثل ما حدث في أوكرانيا وجورجيا وقيرغسـتان؛ إذ مثلت هذه الثورات الشـعبية في جمهوريات الاتحاد السـوفييتي السـابق حافزاً لأصحاب مشـروعات الاستقلال، سواء الوطنيين أو الإسلاميين.

فمع ما تمثله خسـارة روسـيا لمناطق نفوذ مهمة تمثل بُعْداً أمنياً واستراتيجياً لها في مناطق

الثـورات الورديـة بجورجيا وأوكرانيا وقيرغسـتان؛ إلا أنـه من الناحية الجغرافية السياسـية فإن الثورات المحتملة -والتي توقَّع البعض حدوثها داخل روسـيا نفسـها- قد تكون أشـد خطراً؛ وتحمل رسائل تحذير لوجود الاتحاد الروسي ومستقبله، وأبعد تأثيراً في إزكاء روح الدعوات الانفصالية.

ولعـل المظاهـرات في «بشكورتوسـتان» في ٢٦ مـارس ٢٠٠٥م - ١٦ صفـر ١٤٢٦هـ تُظهـر نوعاً من توتـر العلاقة بين المركز الروسـي وبعض القطاعـات الجماهيرية في بعض الجمهوريات الروسية.

٢- تباين المطالبة بالاستقلال:

تتباين رؤى مسـلمي الجمهوريات ذات الكثافة الإسـلامية في روسـيا الاتحادية بالنسـبة لقضية الاستقلال تبايناً كبيراً، فبينما نجد البعض يسعى للاستقلال، ويطالب باستخدام كافة الوسائل المتاحة للوصول إلى الاستقلال كهدف لا بديل عنه، نجد أصواتاً أخرى إما ترفض الاسـتقلال وتدعـو للتعايش والتفاهم مع المركز الروسـي، وإما تنادي على اسـتحياء بحق الاستقلال رافعة شعار القومية تارة؛ والإسلام تارة أخرى.

وتأتي بعض جمهوريات القوقاز- وعلى رأسـها الشيشان وداغسـتان- كأُنموذج للمنهج الأول، حيـث الارتفـاع النسـبي في الالتـزام الديني؛ والبعد عـن المركز الروسـي وتأثيره؛ والتجانـس العِرْقـي الكبير بين السـكان، وحيث القلة النسـبية للروس في القوقـاز؛ مقارنة بإقليم الفولغا والأورال، كما تتباين قوة المطلب الاسـتقلالي في النموذج الشيشاني عنه في بقية الجمهوريات القوقازية؛ لخصوصيته الشـديدة فيما يتعلق بتمسـكه بحق تقرير المصير، والسـعي نحو الاسـتقلال، إلا أن هناك حضوراً لفكرة الاسـتقلال داخل تلك الجمهوريات القوقازية بصورة تقوى وتضعف حسـب تأثير العوامل الرئيسـة المحددة للاستقلال عليها. كما أن التاريخ المشترك لجمهوريات القوقاز وعلاقتها المتوترة بالمركز الروسي على مدى قـرون قد ترك أثره -ولا شـك- على مجمل النظرة القوقازية لفكرة الاسـتقلال، وقد تكون نتائج التجربة الاسـتقلالية الشيشانية أحد أهم المحددات لمستقبل فكرة الاستقلال في بقية جمهوريات القوقاز.

في حين تمثل تتارستان وبشكيريا في إقليم الفولغا والأورال الأُنموذج المثالي للصورة الثانية، حيث تبدو مشاريع الاستقلال أقل قوة والأصوات المنادية بالاستقلال ضعيفة وخافتة، حيث الأهمية الاستراتيجية الكبيرة للإقليم بالنسبة لروسيا، والارتفاع النسبي لمستوى المعيشة مقارنة بالقوقاز، فضلاً عن الموقع الجغرافي الذي لا يُشجع الكثيرين على تبني مشاريع الاستقلال؛ لما يحويه ذلك من مخاطر الانعزال عن العالم، وقد لا يكون للعامل الإسلامي الدور الأكبر في مشاريع الاستقلال في هذه المنطقة؛ إذ إنّ هناك ضعفاً نسبياً للالتزام الديني، في حين تبرز الأصوات القومية بصورة أكبر في مشاريع الاستقلال بهذه المنطقة. «وقد تنامت الروح «الاستقلالية»، وربما الإسلامية - وإن بشكل أقل- بين التتار منذ بداية عهد «البروسترويكا»، في حين يُصنَّف الرئيس التتارستاني « Mintimer Shaimiev مينيتمير شايمييف» على أنه قومي معتدل، ولا يرغب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بأن يستبدله، على الرغم من كفاح موسكو السياسي لمنع «انسلاخ» تتارستان من روسيا؛ باعتبار أن هناك قوًى في تتارستان أكثر «راديكالية» من الرئيس الحالي، وهي تدفع حالياً للاستقلال التام عن روسيا». (٣٧)

في حين ترفض كل الإدارات الدينية الرسمية لمسلمي روسيا بما فيها الإدارات الدينية لمسلمي القوقاز -والمعروفة بولائها للسلطات الروسية- المطالب الاستقلالية، بل وتحارب هذه الدعوات باستماتة.

٣- العوامل المحددة لمستقبل مشاريع الاستقلال ومدى تباينها لدى مسلمي روسيا

- الارتباط بالإسلام :

قام الإسلام -الذي مثَّل لكثير من مسلمي الاتحاد السوفيتي برغم التضييق الذي مر به، الدين والهوية والحضارة - بدور مهم في عدم ذوبان المسلمين (كُلِّيةً) داخل الإمبراطورية الروسية الأرثوذكسية أو الشيوعية أو الفيدرالية العلمانية، فعلى الرغم من السياسات الروسية الهادفة إلى إلغاء الثقافات الأخرى لحساب هيمنة الأفكار الشيوعية، وعلى الرغم من عقودٍ

من الحرمان من ممارسة الشعائر الدينية؛ في ظل السياسات الشيوعية التي قيدت الحريات الدينية، إلا أن إقبال المسلمين على تعلُّم شعائر دينهم، وحرص الكثيرين منهم على العودة إلى المساجد؛ بمجرد أن أُتيحت لهم الفرصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، أظهر أن أثر الإسلام لم ينقطع في نفوس مسلمي روسيا، وساعد ذلك على تقوية النزعة الاستقلالية في نفوس المسلمين هناك، خاصةً مع عدم وجود البديل الذي يمكنه سد الفراغ الروحي لمسلمي تلك البلاد، والمعاناة التي عاشتها الشعوب المسلمة سياسياً واقتصادياً ودينياً تحت حكم القياصرة والشيوعيين؛ وما نتج عنها من بحث عن الهوية الحقيقية لتلك الشعوب، أدى كل ذلك إلى التطلع إلى الإسلام كـ (أمل) في الخروج من الأزمة الروحية والحياتية التي خلَّفتها عقود التهميش والتضييق والإلغاء للشخصية الذاتية لمسلمي روسيا.

ظهر أثر الإسلام خاصة لدى شعوب القوقاز التي ارتبط تصاعُد الدعوات الاستقلالية فيها مع العودة الواضحة إلى الإسلام؛ وتُظهر الشيشان وأنجوشيا وداغستان مدى الارتباط الواضح بين تنامي السعي للاستقلال، وبين قوة مظاهر الصحوة؛ إذ تحول كفاح الأئمة المسلمين على مدار قرون من أجل التحرر، وما قدَّموه من تضحيات في القوقاز المسلمة إلى منبع متجدد لتقوية المطالب الاستقلالية، ومصدر عميق للاعتزاز الديني والثقافي.

في حين تختفي المطالب الاستقلالية أو تضعف في إقليم الفولغا مقارنةً بالوضع في القوقاز، وتأخذ شكلاً قومياً أكثر منه إسلامياً؛ إذ إن الحركات الدينية بالفولغا ما زالت تابعة للسلطة التنفيذية؛ باستثناء بعض الفعاليات لحزب النهضة؛ الذي يمثل في رؤيته البعد الإسلامي لا القومي، «فالصحوة الإسلامية تسير ضمن المسار العام لشعور الانتماء القومي، وتظهر إلى سطح الحياة الروحية والفكرية والسياسية على شكل نبضات في ميدان الأدب، والفن، والتاريخ». (٣٨)

- الموقع الجغرافي :

لعبت خصوصية الموقع وأهميته لأماكن تمركز المسلمين في روسيا (القوقاز والفولغا) دوراً مهماً في التباين بين الدعوات الاستقلالية، حيث نجد ما يمكن وصفه بالتقارب الحضاري بين مسلمي إقليم الفولغا وروسيا، بسبب خصوصية الموقع الجغرافي لإقليم

الفولغا الذي تحول عبر القرون من إقليم هامشي حدودي إلى إقليم رئيسي في علاقة روسيا بمحيطها الإقليمي، مما أدى إلى متانة علاقة السلطة في روسيا بالأراضي الإسلامية في الفولغا؛ وظهور أثر ذلك في التقارب الثقافي والاندماج الحضاري بين الطرفين. ولخصوصية هذا الموقع لن تقبل روسيا باستقلال تلك المنطقة، الأمر الذي يعني تقطع جسدها في سيبيريا شرقاً عن روسيا الأوروبية غرباً، وعن عالم آسيا الجنوبية والوسطى جنوباً. بينما بقيت الشيشان والجمهوريات الإسلامية المجاورة في القوقاز تُعامَل بنوع إهمال؛ لأنها تُعدُّ مناطق أطراف بالنسبة للمركز الروسي، الأمر الذي ساعد على إيجاد نوع من التمايز الحضاري والتباين الثقافي بين القوقاز والمركز الروسي.

- التركيبة السكانية:

اعتمدت السياسة الروسية خلخلة ديمغرافية سكان الجمهوريات والوحدات الروسية - خاصة الفولغا-، والحرص على وجود نسبة غير قليلة من السكان الروس داخل الجمهوريات والوحدات الروسية؛ بهدف ضمان إضعاف التجانس العِرْقي مما يزيد من صعوبة المطالبة بالاستقلال. في حين تمثل الشيشان القوقازية حالة نادرة من سيادة عِرق واحد يدين بديانة واحدة داخل حدوده الإدارية.

- الحالة الاقتصادية:

مازال المسلمون في منطقة الفولغا والأورال أقرب إلى التعايش مع الدولة الروسية من منطقة القوقاز؛ باعتبار الناحية الاقتصادية وتأثيرها على الاستقلال، فجمهوريات الفولغا تدرك بأن أهمية موقعها الاستراتيجي؛ وما تحويه من ثروات حيوية وقدرات اقتصادية كبرى يدفع روسيا إلى عدم تقبل فكرة استقلالهم، كما أن المستوى المعيشي المرتفع نسبياً خاصة في تترستان -على سبيل المثال- مقارنة بباقي الجمهوريات لا يشجع على تغذية المطالب الاستقلالية، بينما تُعد منطقة القوقاز من المناطق ذات القدرات الاقتصادية الضعيفة؛ إذ تُعتبَر من أكثر مناطق روسيا تخلفاً وتأخراً -مقارنة بإقليم الفولغا- الأمر الذي يُعدُّ أحد الأسباب لتقوية المطالب الاستقلالية بها.

جدول رقم (٣): التركيبة السكانية للجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية

الجمهورية	التركيبة السكانية			
الشيشان	٩٣,٥ ٪ شيشانيين			
أنجوشيا	٧٧,٣٪ أنجوش	٢٠,٤٪ شيشان	١,٢٪ روس	٠,٢ ٪ أتراك
داغستان	٨٠٪ داغستان	٩٪ روس	٣٪ شيشان	
أوسيتيا الشمالية	٦٢,٧٪ أوستيين	٢٣,٢٪ روس	٣,٠٪ انجوش	٢,٤٪ أرمن
قبردين – بلكاريا	٥٥,٣٪ قابردين	٢٥,١٪ روس	١١,٦٪ بلكار	
قارتشي – شيركيسيا	٣٨,٥٪ تركي كارتشي	٣٣,٧٪ روس	١١,٣٪ شركس	
الأديغة	٦٤,٥٪روس	٢٤,٢٪ أديغيين		
تتارستان	٥٢,٩٪ تتر	أقل من ٥٠٪ قوميات أخرى		
بشكيريا	٣٦,٣٪روس	٢٤,١٪ تتر	٢٩,٨٪ بشكيريين	
تشوفاش	٦٧,٧٪تشوفاش	٢٦,٥٪ روس		
موردوفيا	٦٠,٨٪ روس	٣١,٩٪ موردوف	٥,٢٪ تتر	
ماري يل	٤٧,٥ ٪ روس	٤٢,٣ ٪ ماري	٦ ٪ تتر	
أدمورت	٦٠,١٪ روس	٢٩,٣ ٪ أدمورت	٧٪ تتر	
إقليم أورنبيرج	٧٢,٣٪ روس	٤,٧٪ أوكرانيين	٤,٥ ٪ كازاخ	

المصدر: جُمعت البيانات الإحصائية بهذا الجدول من عدة مصادر أهمها :

http://en.wikipedia.org - http://www.answers.com - http://www.visitsiberia.com

رابعاً: الموقف الدولي من قضايا مسلمي روسيا

على الرغم من تراجع الدور الدولي في التأثير على قضايا مسلمي المنطقة ، خاصة قضية الشيشان بما تمثله من نموذج بارز للتعاطي الدولي عامة، والأمريكي خاصة مع قضايا مسلمي روسيا في إطار لا ينقصه المنفعة وتغليب المصالح الاستراتيجية والاقتصادية، إلا أن هذا الدور ما زال مؤثراً، ومن المهم إلقاء الضوء على بعض زواياه، وأهم اللاعبين الدوليين

المؤثرين في المنطقة، خاصة ما يتعلق بمسار القضية الشيشانية التي تمثل قضية الاستقلال الأبرز لمسلمي روسيا بما تحويه من أبعاد إسلامية مقلقة للعالم الغربي من جهة، وبما تمثله من أهمية خاصة لروسيا من جهة أخرى.

١- الدور الأمريكي:

تعتبر الولايات المتحدة لاعباً أساسياً بالمنطقة؛ إذ أدركت مبكراً الأهمية الكبرى لمنطقة القوقاز، خاصة الأهمية الجغرافية السياسية للشيشان، فسعت لتعميق وجودها وتأثيرها في هذه المنطقة.

وتهدف السياسة الأمريكية إزاء منطقة بحر قزوين إلى إيجاد التوازن بين منطقة بحر قزوين ومنطقة الخليج العربي؛ بحيث لا تعود منطقة الخليج تتمتع بالمزايا الاستراتيجية الراهنة.

فضلاً عن أن أمريكا تخشى من صعود التيارات الإسلامية وتعاظم الدور الجهادي في المنطقة خاصة في الشيشان. وكانت النافذة الاقتصادية هي المدخل الأساس للتدخلات الأمريكية في المنطقة حيث السياسات الاستثمارية والإغراءات المالية من خلال المنظمات غير الحكومية ورجال الأعمال.

وحرص الطرف الأمريكي منذ سقوط الاتحاد السوفييتي على تفعيل منهج الاحتواء والمساومة وليس الصدام مع روسيا، فروسيا لديهم تمثل -وفقاً لرؤية بيرجنسكي مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق في كتابه «رقعة الشطرنج الكبرى» - دولة غير مستقرة سياسياً، وتمتلك في نفس الوقت ترسانة نووية، ومن المحتمل أن تشهد فوضى سياسية قد تؤدي إلى تهديد أوروبا من انتشار أسلحة الدمار الشامل.

وظل الموقف الأمريكي يضع الأعمال الوحشية التي ترتكبها القوات الروسية في الشيشان في إطار الشأن الداخلي الروسي، الذي لا يجوز التدخل فيه؛ وهكذا حرصت الإدارة الأمريكية على تشجيع روسيا ودعمها للدخول إلى المستنقع الشيشاني بقصد كبح جماح الصحوة الإسلامية في الجمهوريات الإسلامية، فضلاً عن إضعاف الاقتصاد الروسي بحرب تستنزف الكثير من الموارد الروسية، وتؤدي إلي حالة من الضعف العام داخل روسيا.

وفي حين دأبت الحكومة الأمريكية أواخر فترة حكم يلتسين على (تنبيه) روسيا إلى خطورة ما تقوم به في القوقاز، في وقت كانت فيه القوات الأمريكية وقوات الناتو تنجز

مهمتها في البلقان، إلا أنه خلال فترة حكم الرئيس بوتين وتزامن ذلك مع الحرب الأمريكية على «الإرهاب الدولي» بدا وكأن هناك اتفاقاً غير معلن على عدم إثارة قضايا المسلمين في الجنوب الروسي.

وعندما طلبت إدارة حكومة بوش المساعدة من موسكو عقب الهجمات على مركز التجارة العالمي أجاب الروس قائلين: إنهم مازالوا يعانون من الإرهاب. وأوضحوا أنهم في الحقيقة يقاومون الإرهابيين منذ سنوات عدة، وأنه يسرهم أن يقدموا دعمهم لأمريكا في حربها الجديدة؛ طالما أن أمريكا تدعم روسيا في حربها ضد عدوها المعهود في الشيشان.

تهدف السياسة الأمريكية إزاء منطقة بحر قزوين إلى إيجاد التوازن بين منطقة بحر قزوين ومنطقة الخليج العربي

٢- الموقف الأوروبي:

على الرغم من تصريحات الإدانة الأوروبية التي تنطلق من بعض المنظمات والهيئات الأوروبية مندِدة بالطريقة الوحشية التي تتعامل بها روسيا مع القضية الشيشانية، إلا أن الموقف الأوروبي الحقيقي يميل إلى جوار روسيا في صراعها مع الشيشان، وبرز انحياز الموقف الأوروبي لروسيا عندما عدّلت منظمة الأمن والتعاون الأوروبي في مارس ١٩٩٩م - ذو القعدة ١٤١٩هـ اتفاقيتها المبرمة عام ١٩٩٠م - ١٤١٠هـ، والتي شاركت روسيا في التوقيع عليها، وهي الاتفاقية التي قضت بالحد من تعداد القوات الروسية وعتادها في القوقاز، وجاء التعديل مستجيباً للمطالب الروسية بحشد المزيد من ترسانتها الحديثة ورفع عدد قواتها.

وتلعب منظمة الأمن والتعاون الأوروبي دوراً بارزاً في القضية الشيشانية، وتتبنى إلى حد كبير وجهة النظر الأمريكية في المنطقة، فهي لا تؤيد استقلال الشيشان، وفي الوقت نفسه تصدر بعض التنديدات من آن لآخر تنتقد فيها طريقة روسيا في التعامل العنيف مع الشيشانيين.

٣- الموقف الصهيوني:

من المعروف أن الصعود القوي للنفوذ الصهيوني في روسيا بدأ منذ وصول يلتسن إلى

قمة السلطة في روسيا، ومن حوله مجموعة من اليهود مثل: أناتولي تشوبايس المسئول عن التخصيص، ويفجيني بريماكوف وزير الخارجية، وألكسندر ليفشتس وزير المالية، وسيرجي باسترجيميكس الناطق الصحفي باسم يلتسن، وباكوف أورسون وزير الاقتصاد، وغيرهم كثير، ومن أهم هؤلاء على الإطلاق: أناتولي تشوبايس الذي تؤكد المعارضة الروسية أنه باع روسيا لصندوق النقد الدولي، وأنه على علاقات متينة بالمافيا الإسرائيلية.

واستغل الكيان الصهيوني الصراعات والحالة غير المستقرة التي تمر بها المنطقة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي لصالحه، واستطاع أن يخترق المنطقة، خاصة القوقاز بدعم من الولايات المتحدة، وأن يقدم نفسه لجمهوريات المنطقة من خلال خبرته في التكنولوجيا المتقدمة والمشاركة الفعالة في المجال الأمني والاقتصادي والزراعي.

وتتقاطع المصلحة الصهيونية والغربية في تطويق الحركات الإسلامية في هذه المنطقة وعزلها عن محيطها الإسلامي.

وتحاول «إسرائيل» عن طريق النشاط الاستخباراتي دعم موسكو في تعقب والقضاء على من تصنفهم كإرهابيين شيشاييين.

كما يعاني المسلمون من هجوم شرس وتشويه متعمد تَشُنُّهُ وسائل الإعلام التي يهيمن يهود روسيا على جزء كبير منها، واستغل اليهود الإعلام في صناعة رأي عام مُعَادٍ للمسلمين وتصويرهم على أنهم «إرهابيون»، الأمر الذي كان له أثر كبير في التضييق على مسلمي المنطقة.

٤- العالم الإسلامي والقضية الشيشانية:

على الرغم من مساحة الاهتمام الكبيرة التي أولتها بعض الدول الإسلامية فيما سبق للقضية الشيشانية، إلا أنه يبدو عدم وجود تأييد على المستوى الرسمي للدول الإسلامية لانفصال الشيشان عن روسيا، كما تراجع الاهتمام الإسلامي كثيراً بالقضية الشيشانية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فيما يبدو أنه خوف من تكرار تجربة أفغانستان.

ولم يتجاوز دور بعض الدول الإسلامية المتعاطفة مع القضية الشيشانية التنديد بالأسلوب الدموي الذي تعالج به روسيا المشكلة، مع الدعوة إلى حل سلمي يوقف نزيف الدم الشيشاني مع التأكيد على أن القضية لابد أن تحل في إطار وحدة الأراضي الروسية، مع رفض الخيار

العسكري الروسي لحل الأزمة.

أما على الصعيد الاقتصادي، فإن للعديد من الدول الإسلامية اهتمامات ومصالح مشتركة مع الجانب الروسي الذي نجح في استغلال البعد الاقتصادي لخدمة موقفه في النزاع الشيشاني وتحييد بعض الدول التي كانت تعد على المستوى الرسمي والشعبي من المناصرين للقضية الروسية.

وكان الدور المؤسسي الإغاثي الإسلامي في أحيان كثيرة أكثر تفاعلاً وتأييداً، إلا أن دوره لم يتجاوز كثيراً المساعدات الإغاثية وبيانات التنديد، والاكتفاء بمطالبة روسيا بمراعاة حقوق الإنسان .

خامساً: مستقبل مشاريع الاستقلال

على الرغم من تلك العقبات التي تصطدم في أساسها بمشاريع الاستقلال للجمهوريات ذات الأغلبية المسلمة داخل الاتحاد الروسي؛ إلا أن حسم أمر الاستقلال يبدو أنه يختلف داخل تلك الجمهوريات اختلافاً كبيراً بحسب الظرف التاريخي الذي تعيشه المنطقة، حيث تتجه الإشارات لصالح تَرجُّح حق الاستقلال؛ اعتماداً على ما سبق تأسيسه من معطيات حقوقية وقانونية، فضلاً عن المعطيات التاريخية التي يمكن أن نُجملها بناءً على تجربتين لا يصح أن يُغفل عنهما أثناء طرح قضية الاستقلال:

الأولى: التجربة السوفييتية، والتي أثبتت أن الوحدة لم تكن سوى مشروع يصب بكامله في صالح المركز الروسي وصالح مشروع الهيمنة على المنطقة، وبالرجوع إلى الحالة الدينية التي غلب عليها الاضطهاد وحرمان المسلمين من ممارسة شعائرهم بحرية، فضلاً عن التغييب الذي عانوا منه حينها مع ضعف وهشاشة الوضع الاقتصادي في غالبية مناطق الجمهوريات الإسلامية المستقلة أو تلك التي ما زالت ترزح تحت السيطرة الروسية، يُعلَم تماماً أن مشروع الوحدة أو الهيمنة السوفييتية لم يكن يصب في الغالب لصالح تلك الشعوب، ولم يَجْنِ كثير من المسلمين منه إلا تضييقاً على المستوى الديني، وضعفاً على المستوى الاقتصادي، وتهميشاً سياسياً حرم المسلمين من الكثير من حقوقهم.

التجربة الثانية: والتي تبدأ في أعقاب تفكك الاتحاد السوفييتي في أوائل العِقد الأخير من القرن الماضي وإلى الآن، فإذا ما تأملنا فيها جيداً نجد أن الملامح الرئيسة التي شكَّلت فكر

العقلية السـوفييتية -وعلى رأسها مشروعها للهيمنة على دول المنطقة والتضييق الديني- ما زالت خيوطها تحكم العقل الروسي في التعامل مع الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية التي تخضع قسراً لحكمها، رغم فروق سطحية تبدو مختلفة بعض الشيء عن الحقبة السوفييتية، إلا أن الواقع الحالي وما يحويه من ملامح لا يختلف كثيراً عن سـابقه إلا في تلك المسـاحة من الحرية التي لم تحقق إلى الآن لمسـلمي تلك الجمهوريات تطلعاتهم الدينية، أو تسـهم في تحسين أوضاعهم السياسية والاقتصادية.

مشـروع الوحـدة أو الهيمنـة السـوفييتية لـم يكـن يصـب فـي الغالب لصالح الشعوب المسـلمة

إذا ثبت أن المعطيات التاريخية تثبت (حق) الاستقلال لهذه الجمهوريات فيتبقى السؤال: هل يكفي هذا (الحق) ليمنح شـعوب المنطقة إشـارة البدء في السـعي العملي للاسـتقلال؟ أم أن الظـرف التاريخـي ومعطيـات الواقـع وحسـابات المصالـح قـد تصـب فـي جانب الاحتفـاظ بهذا الحق مع تأجيل المطالبة به، أو السـعي في تنفيذه، وتقديم خيار التعايش مع المركز الروسي على خيار الاستقلال في الظرف الحالي؟

الإجابـة على تلك التسـاؤلات يبـدو أنها تتبايـن بنفس درجـة تباين تلـك الجمهوريات عِرقيـاً وثقافيـاً وجغرافياً واقتصادياً؛ إذ التباين كبير بيـن جمهوريات منطقة الفولغا والأورال مـن جانب، ومنطقة القوقـاز من جانب آخر بالنظر للناحية الاقتصاديـة والجغرافية والعِرْقية ومسـتوى الصحوة الإسـلامية، بل هناك أيضاً نوع تباين ليس قليلاً بين جمهوريات المنطقة الواحدة؛ من حيث مستوى المعيشة والتجانس العِرْقي ومستوى الوعي الديني.

كما أن موقف الجمهوريات نفسها من الاستقلال يختلف من جمهورية إلى أخرى؛ حيث يشتد ويأخذ طابعاً إسلامياً في القوقاز؛ خاصةً في الشيشان وداغستان وأنجوشيا.

بينمـا تختفي فكرة الاسـتقلال أو تضعـف وتأخذ طابعاً قوميـاً أحياناً فـي الفولغا كما في تترسـتان وبشـكيريا، الأمر الذي يصعب معه وضع تصور «مُوحَّد» واضح لمستقبل مشاريع الاستقلال في تلك الجمهوريات.

ويمكننا إلقاء الضوء على مشاريع الاستقلال في كل من: الشيشان بإقليم القوقاز، وترستان بإقليم الفولغا؛ كنماذج واضحة المعالم في كثير من أبعادها بالنسـبة لمطالب الاستقلال من

حيث قوتها وضعفها ومستقبلها ووضوح العوامل المؤثرة فيها سلباً وإيجاباً.

١- مشروع الاستقلال الشيشاني:

إن الشيشانيين يختلفون كثيراً عن بقية شعوب الاتحاد الروسي، في الدين، والعِرْق، واللغة، والثقافة، والتاريخ. ولم تستقر السيطرة الروسية على أراضي الشيشان في أيّ مرحلة من مراحلها؛ بسبب عدم رضى الشيشانيين عن وجودهم ضمن الاتحاد الروسي، في العهدَين القيصري والشيوعي؛ بدليل ثوراتهم العديدة ضد روسيا والمقاومة العنيفة التي حمل لواءها القادة الدينيون.

وعلى عكس منطقة الفولغا، فإن الشيشان تعد من مناطق الأطراف لا المركز، والعلاقة بينها وبين المركز الروسي اتسمت بالصراعات والتوتر، إضافة إلى عدم اندماج الشيشانيين في الثقافة الروسية، واحتفاظهم الواضح بعادات وأعراف خاصة تمايزوا بها كثيراً عن الروس.

أهم المؤثرات في مستقبل المشروع الاستقلالي الشيشاني:

- البعد الإسلامي للقضية الشيشانية:

للإسلام في حياة الشيشانيين دور كبير، فقد تغلغل في المجتمع الشيشاني للدرجة التي أدت إلى انتشار الأسطورة القائلة بـ «أن الشيشانيين مسلمون منذ بداية الخليقة»، ويُشكِّل الإسلام الجزء الأكبر من شخصيتهم الحضارية وهويتهم الثقافية؛ كونها تلقت الإسلام وامتزجت به مبكراً منذ ظهوره ووصوله إلى بقاعها. فالمشكلة التي يواجهها الروس لدى المسلمين في الشيشان بالذات أن الإسلام يُمثِّل لهم الدين والهوية والحضارة؛ ولذا فقد التصق بحياتهم اليومية ومفرداتها وعاداتهم وأعرافهم؛ ولذلك لم يستطيعوا الذوبان داخل الإمبراطورية الروسية الأرثوذكسية أو الشيوعية، أو العلمانية المتمثلة الآن. ولم يفعل الإلحاد الرسمي في المرحلة السوفييتية سوى أن جعل الإسلام «سرياً» مختلطاً بالعادات، والذي أخذت ملامحه تظهر بقوة، وتأثيره يعود بسرعة مع بوادر الانفتاح والحرية في العقدين الأخيرين.

والشيشانيون مسلمون سُنَّة، «وهو إسلام حنفي المذهب طرائقي صوفي في تركيبته الاجتماعية؛ إذ لعبت الطرق الصوفية، وبالأخص النقشبندية والقادرية دوراً هائلاً في ترسيخ

الإســلام في هذه المناطق، واســتطاعتا من خلال المدارس والمكاتب توسيع وتعميق رقعة الإسلام في ربوع القوقاز». (٣٩) وهم يتميزون باحترامهم الشديد لرموزهم الدينية.

لقد تحول تاريخ كفاح الأئمة المسلمين في القوقاز إلى مصدر اعتزاز كبير لشعوب المنطقة والشيشان بشكل خاص.

لذا فقد لعب البعد العقدي في الصراع دوراً محورياً، وكان طابع المقاومة إسلامياً واضحاً، فارتبطت المقاومة برموز ومحركات وبواعث دينية طوال فترة كفاح الشيشانيين، حيث حمل القادة الدينيون لواء المقاومة، وقد دعَّم هذا التحليل الميراث التاريخي للعلاقة بين الشيشان وروسيا، وأيضاً تصاعد الرموز الدينية ومفردات الخطاب الديني.

«فقد جرت الحروب العديدة والتضحيات الهائلة للشيشانيين تحت راية الإسلام. وكذلك الحال بالنسـبة للحرب الأخيرة. فالرايات الخضراء وشعارات «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، والعصابات الخضراء على جباه المقاتلين وأمثالها تشـير إلى أن العلاقة بين الإسـلام والهوية الشيشـانية القوقازية هي علاقة عضوية غير مفتعلة، لها تاريخها العريق في حركات المريدين البطولية» (٤٠).

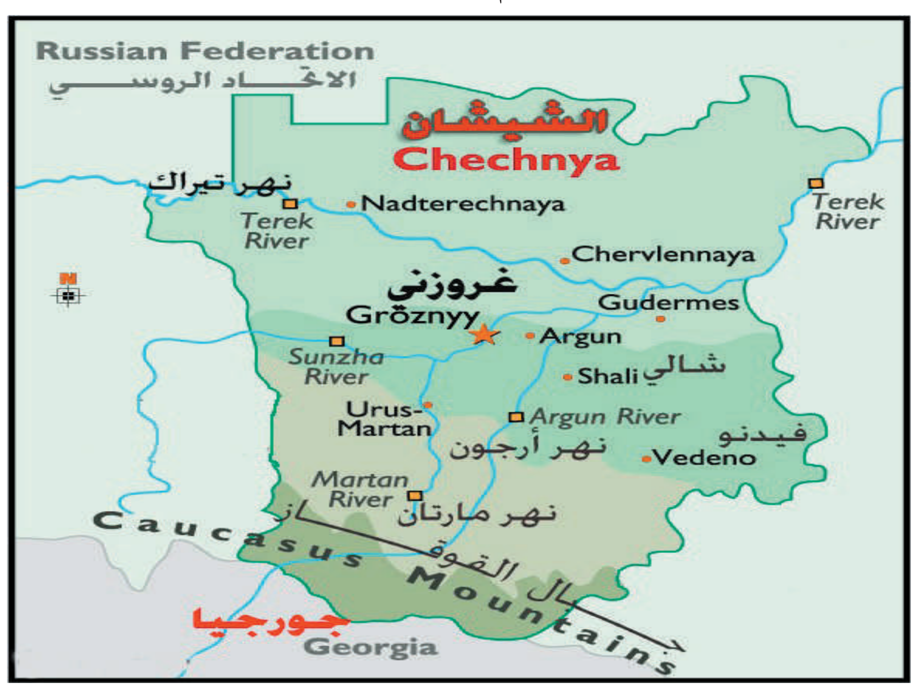
وظهـر هذا الأثـر الكبير للإسـلام في تأثيره في الشـخصية الشيشـانية؛ ودعمه لمشـاريع الاستقلال خلال الحربين الأخيرتين في أواخر القرن العشرين وإلى الآن، من خلال الاجتماع على إقامة دولة إسـلامية، وإعلان ضرورة تطبيق الشـريعة الإسلامية، وإنشاء محاكم شرعية تأخذ على عاتقها مهمة تنفيذ الحدود، وأسـلمة جميع مناحي المجتمع الشيشاني بالاهتمام بالدراسات الشرعية، والمحافظة على الآداب الإسلامية، الأمر الذي أدى مع الوقت إلى مزيد من التمايز الثقافي والاجتماعي والقانوني عن روسيا، ومن ثَمَّ دعم مشروع الاستقلال.

ومن ذلك أيضاً، ما يراه البعض من أن الطموح الروسي قد ارتبط بصعود واضح للأرثوذكسية الروسـية، فقد أصر يلتسن على أن ينصب قسيسـاً روسياً، وصاحب ذلك نمو تعاطف الرأي العام الروسي تجاه الكنيسة، وصعود نجم المسيحية الأرثوذكسية في روسيا مرة أخرى.

- الصراعات الدموية بين الطرفين:

اتخـذت العلاقة بين روسـيا والشيشـان في كثيـر من مراحلهـا طابعاً دمويـاً، ومنذ القرن

خريطة رقم (٣): جمهورية الشيشان



السادس عشر الميلادي مرت العلاقات الروسية-القوقازية بصراعات دموية لم تتوقف حتى الآن، كانت محصلتها مئات الآلاف من المشردين والقتلى والمصابين في صفوف الشيشانيين، الأمر الذي جعل المطلب الاستقلالي أمراً يصعب التحول عنه؛ خاصة بعد كل هذه التضحيات بالنسبة للشعب الشيشاني.

حين زحف القياصرة صوب القوقاز واجهوا مقاومة عنيفة حشدها عدد من المجاهدين الشيشانيين والداغستانيين، بقيادة الإمام منصور، والإمام شامل، والإمام نجم الدين، الذين ساهموا في ردع الجيش القيصري لسنوات عدة، ومنعوه من إحكام سيطرته على أرضهم. ومارس القياصرة سياسة الإبادة المنظمة لتلك الشعوب، وارتكبوا العديد من المجازر؛ مما أضفى مزيداً من الدموية على تلك الحقبة من الصراع.

لم تختلف الحقبة الشيوعية كثيراً في طبيعتها العدائية والمتوترة بين الطرفين؛ إذ واجه

الشيشانيون الاحتلال الشيوعي بقوة من خلال ثورات عدة، منها ثورة (إبراهيم قلدقت) عام ١٩٣٤م – ١٣٢٥هـ، وثورة (حسن إسرائيلوف) عام ١٩٤٠م – ١٣٥٨هـ وغيرها، وكان الشيوعيون يقمعونها بالحديد والنار.

وبعد انهيار الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفييتي إلى جمهوريات مستقلة، أُعلن رسمياً استقلال جمهورية الشيشان عن روسيا الاتحادية في عام ١٩٩١م – ١٤١١هـ، ورفضت القيادة الروسية الاعتراف بالشيشان كدولة مستقلة، وفرضت عليها عقوبات اقتصادية، ولكنها لم تهاجم الشيشان عسكرياً.

بعد انهيار الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفييتي، أُعلن استقلال جمهورية الشيشان عن روسيا عام ١٩٩١م

في أواخر عام ١٩٩٤م – ١٤١٤هـ تحرك الجيش الروسي باتجاه العاصمة الشيشانية «غروزني»، ليبدأ فصلاً جديداً من عملية إبادة الشعب الشيشاني.

وأمام المقاومة العنيفة من الشيشانيين تم عقد اتفاقية خاسيافورت في ٣١ من أغسطس ١٩٩٦م – ١٧ ربيع الآخر ١٤١٧هـ، وتضمنت وقف إطلاق النار وتحديد الوضع النهائي للشيشان في كانون أول/ ديسمبر ٢٠٠١م – رمضان ١٤٢٢هـ، كما تضمنت الإشارة إلى بناء العلاقات بين الشيشان والروس على أساس مبادئ القانون الدولي، وقال ليبيد – ممثل روسيا في الاتفاق – بعد التوقيع: «سنسحب القوات الروسية وسنسترشد في علاقاتنا بالقواعد الدولية المعمول بها» مما يعمِّق من دلالات استقلال الشيشان، وبعد الاتفاقية عمد المقاتلون الشيشان إلى إعادة إعمار البلاد وتنظيم شؤونها المختلفة، وتم الاتفاق على تشكيل حكومة ائتلافية مؤقتة لحين إجراء انتخابات برلمانية ورئاسية.

غير أن العلاقة توترت مرة أخرى بسببٍ مُفتعَل من الجانب الروسي؛ لتفويت الفرصة على الشيشانيين في الاستفتاء وتقرير المصير، فقررت القيادة الروسية يوم ٢٣ من سبتمبر ١٩٩٩م – ١٤ جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ معاودة اجتياح جمهورية الشيشان، وإلى الآن لم يحسم أحد الطرفين الحرب لصالحه.

وعلى الرغم من أن هناك قطاعاً من الشيشانيين يوالون روسيا، ولا يدعمون فكرة

الاستقلال، بل يعملون جاهدين للقضاء عليها داخل الشيشان لمصالح شخصية في غالبها وعلى رأسهم الحكومة الشيشانية الموالية لروسيا- إلا أن نتائج هذه الحروب أدت إلى تأصُّل فكرة الاستقلال لدى غالبية الشيشانيين، وتحول العداء إلى عنصر أساسي ومحرك مهم في العلاقات بين الطرفين، وأصبح الاستقلال التام المطلب الأساسي للشيشانيين على اختلاف توجهاتهم إسلامياً وقومياً.

- صلابة الشخصية الشيشانية:

لا يمكن أن نُغفل سمات الشخصية الشيشانية في معرض الحديث عن العوامل المحددة لمستقبل الصراع ومشاريع الاستقلال؛ فقد اشتهر الشيشانيون بصلابة البأس في القتال، والشيشاني يفضل الموت بشرف على حياة الذل . وتعد الشجاعة أحد أبرز مقومات الشخصية الشيشانية التي قد تُهزَم، ولكنها لا تستسلم أبداً. والشيشانيون عُرفوا بأنهم مقاتلون أشداء؛ لا تقبل نفوسهم مرارة الهزيمة، ولا يمكنهم العيش في ظل مستعمِر.

والحرية لدى الشيشانيين مكون أساسي ومحور مهم في حياتهم، يثبت ذلك التاريخ ويشهد عليه، وكثيراً ما يستخدم الشيشانيون الحرية في محادثاتهم اليومية، «يقول الكاتب الروسي الشهير (سولجنستين)، والذي عاصر ما فعله ستالين بالشيشان في معسكرات الإبعاد الجماعي، والسجون في وسط آسيا: إن شيشانياً واحداً لم نره يخضع للحكم الروسي، بل إن الشيشانيين دائماً كانوا يُظهرون وبشجاعة عداءهم للروس».[٤١]

يضاف إلى العوامل السابقة ما أشرنا إليه من التجانس العرقي الواضح في الشيشان؛ إذ يمثل الشيشان أنموذج الجمهورية ذات العرق الواحد والديانة الواحدة، مما يعني توافر عنصر رئيسي يساعد على الدفع بمشاريع الاستقلال إلى الأمام.

كما أن الحركات التغييرية والانفصالية التي اشتعلت بسقوط الحكومات المدعومة من قِبَل روسيا خلال مظاهرات شعبية في جورجيا وأوكرانيا وقرغيزستان، ستلعب دوراً مؤثراً في مجريات الأحداث بين روسيا والشيشان، خاصة مع ظهور بوادر لانتقال عدوى «الثورات» داخل روسيا نفسها، فقد يتشتت التركيز الروسي المنصبّ على الشيشان ليشمل جمهوريات أخرى قريبة في آسيا الوسطى يُخشى أن تطالها حركة التغيير، فضلاً عن الجمهوريات

الروسـية نفسـها، والتي وصلتها الرياح التغييرية مع ما قد يستلزمه ذلك من تحركات روسية عسكرية وأمنية للحفاظ على نفوذها بتلك المناطق.

تأتـي هذه التغيـرات الجديدة لتصب في صالح الطرف الشيشـاني، خاصـة مع عدم قدرة موسـكو على حسـم الأمور داخـل الشيشـان، وتحولها إلى مـأزق كبير بخسـائر يومية في الاقتصاد والأفراد زادت من نقمة الشـعب الروسي على حكومته، بعد أن أصبح من الصعب على روسيا التغطية على خسائرها بالشيشان.

كما أن العنصر الأمني والبعد الحيوي للشيشان بالنسبة لروسيا، وبالرغم من أهميته إلا أن النظرة الروسـية للشيشـان قابلة للتغير في ظل تغير الأوضاع الدولية وتغير الداخل الروسـي نفسـه، وفي ظل حسـابات الربح والخسارة؛ وقياسـاً على نماذج مهمة كانت تمثل إلى عهدٍ قريـب بُعداً اسـتراتيجياً أمنياً لروسـيا مثـل جورجيا حدث فيهـا تغيير مرتبـط بتغيير الوضع الداخلي الروسي وتغيير الأوضاع العالمية وحسابات المصالح.

من قراءة كل هذه المعطيات يمكن تلخيص الوضع المتعلق بالشيشان في النقاط التالية :

١- الاستقلال مطلب قديم وعميق في وجدان هذا الشعب، والشيشانيون مسلمون عقيدةً وثقافـةً وتاريخاً، فلا يوجد روابط حقيقية بينهم وبين روسـيا، والشيشـانيون لـم يقبلوا أبداً بالسيادة الروسية عليهم وتكررت ثوراتهم.

٢- الشيشان كانت جزءاً من روسيا بموجب الاحتلال، فلم تنضم طواعية على مدى تاريخ الصراع إلى روسـيا، ولم تقبل في يوم من الأيام استمرار هذا الوضع الاستعماري؛ سواء في الحقبة القيصرية أو الشيوعية، أو في الوقت الحالي.

٣- يتوفـر للشيشـان من الخصائـص العرقيـة والصحوة الإسـلامية المتميـزة، ما يجعل الشـخصية الشيشـانية تميل نحو التحـرر، وهو طابع مسـتمد- إلى حد كبيـر- من التكوين الجغرافـي الجبلي لبلاد الشيشـان، مع خلفية داميـة؛ مما يصعب معه قبول الشيشـاني حلاً آخر غير الاسـتقلال، كما أن سياسة التهجير وتاريخ الشتات الذي تعرض له الشيشانيون في الأربعينيات من القرن العشرين إلى آسيا الوسطى وسيبيريا ومختلف البقاع الروسية لم يفلح ذلك في تذويبهم في الثقافة الروسية.

مـن خلال هذه النقاط سـالفة الذكر، يتبين حق الشيشـانيين في المطالبـة بتقرير المصير، وأسـباب تصميمهم على رفض أيّ بدائل سـوى الاسـتقلال، وعدم التخلي عن المشـروع

الاستقلالي؛ استناداً إلى اعتباراتٍ كثيرة؛ وقياساً على حالات شبيهة تعامل معها القانون الدولي بطريقة مختلفة. (٤٢)

٢- مشروع الاستقلال التترستاني :

«من الناحية التاريخية كان انتشار الإسلام في منطقة الفولغا أقدم من انتشار النصرانية في روسيا؛ إضافة إلى أن التاريخ السياسي للتتر أعرق من تاريخ الدولة الروسية، وتشكل في حالات عديدة من خلال المعايشة والمصاهرة والصراع الدامي.

انتشر الإسلام بينهم بطريقة سلمية عن طريق التجارة والثقافة عبر إيران وآسيا الوسطى.... وشكَّل القرن العاشر مرحلة استتباب الدولة عند التتر في منطقة حوض الفولغا، والتي رافقها بالضرورة ترسيخ التقاليد الفقهية والفكرة الإسلامية، ففي عام ٩٢٢ يجري إعلان الإسلام ديناً للدولة والحنفية مذهباً فقهياً لها». (٤٣)

و«ظهرت تتارستان كجمهورية ذات حكم ذاتي ضمن روسيا الاتحادية عام ١٩٢٠م - ١٣٣٨هـ.

كانت تترستان ضمن تلك الجمهوريات التي تطلعت لمساحة مناسبة من الاستقلال الذاتي، فما طالبت به روسيا ضمن الاتحاد السوفييتي طالبت به تترستان داخل روسيا وريثة الاتحاد السوفييتي.

ولاختلاف الوضع سياسياً واقتصادياً وعرقياً؛ فضلاً عن تباين مستوى الصحوة بينها وبين الشيشان، فقد اختارت تترستان طريقاً مختلفاً للعلاقة مع المركز الروسي، فتترستان لم تلجأ إلى كل الخيارات المتاحة؛ بما فيها الخيار المسلح وبذل كل المتاح لنيل الاستقلال، ورفض أي بديل سوى الاستقلال عن روسيا بوطن إسلامي. لكن الرؤية التترستانية لمستقبل العلاقة مع المركز الروسي تنازَعها اتجاهان: كلٌّ يحمل رؤية مغايرة لمستقبل تترستان؛ بناءً على اعتبارات ومبررات متباينة، أسس كل فريق رؤيته عليها، وسنعرض في إيجاز لكلا الاتجاهين:

الاتجاه الأول: ويتبناه «القوميون»، ويدعون إلى إعلان استقلال تترستان عن المركز الروسي كدولة ذات سيادة، وأسَّس أصحاب هذا الاتجاه رؤيتهم على أسبابٍ منها :

خريطة رقم (٤): جمهورية تترستان



أ- الوضع الاقتصادي المتميز لتترستان؛ مقارنة بالعديد من الجمهوريات الروسية الأخرى:

إذ تعد تترستان مصدراً مهماً للنفط، ومركزاً للصناعات البتروكيماوية وللصناعات الحربية، وبالأراضي التترية موارد معدنية وزراعية متعددة، وهو ما ينعكس على درجة معيشة السكان؛ التي تبدو أفضل من نظيرتها في كثير من الأقاليم الروسية، كما أنه عندما بدأ التحول الاقتصادي السريع والخصخصة بعد تفكك الاتحاد السوفييتي؛ فإن هذه المنطقة حافظت إلى حدٍّ ما على ثرواتها الاجتماعية؛ من خلال الاحتفاظ بوحدة الاقتصاد وآلية التحكم الحكومي به، مما أدى إلى شعور أصحاب هذا الاتجاه بأن تترستان تستطيع الاعتماد على نفسها اقتصادياً حين استقلالها، وأن امتيازات تترستان الحالية كجمهورية ضمن الاتحاد الروسي من حيث القدرة والإمكانيات هي الأقرب إلى الاستقلال.

ب- العامل الديني:

حفظ التاريخ لجمهورية تترستان مجداً إسلامياً قديماً شاهداً على اندماج كبير للتتر

بالإسلام، بدأ في العودة مؤخراً بعد تغييبه لعقود؛ بسبب مطاردته أثناء الحقبة السوفييتية. «ويوجد في تترستان ٨٠٤ جمعيات إسلامية، كما يبلغ عدد المساجد بها نحو ٤١١٦ مسجداً، وتقوم الحكومة بإنشاء حوالي ٣٤ مسجداً جديداً سنوياً. ويصل عدد المدارس الدينية في تترستان إلى ١٢٥٤ مدرسة، منها ١٠٢٠ مدرسة دينية في المساجد خاصة بالبنين، وهي معتمدة من لجنة مسلمي روسيا والإدارة الدينية لجمهورية تترستان، ويتخرج سنوياً فيها ٣٤٠٠ طالب، تتركز دراستهم على أصول الدين الإسلامي والقرآن الكريم والحديث وأصول الدعوة، كما يوجد أيضاً ٢٣٤ مدرسة دينية خاصة بالبنات».(٤٤)

كما قامت سلطات كازان سنة ١٩٩٨م - ١٤١٨هـ بتأسيس الجامعة الإسلامية الروسية. ومع ضعف تأثير العامل الديني في مشروع الاستقلال بتترستان إلا أنه ومع محاولات الإحياء الديني المتجددة بدأ ظهور ما يُعرَف بـ «التيار التركي - المسلم»، والذي يجمع البشكير والتتر في معارضتهم لنمط الحياة الروسي، وزادت النظرة المتحفظة لروسيا ودعَّمت التوجه المنادي بالاستقلال في ظل ما سجَّله التاريخ عن الاضطهاد الديني الذي تعرض له المسلمون التتر، سواء في الفترة القيصرية أو السوفييتية .

ج- تاريخ تترستان الذي عرف العلاقة الندية بروسيا:

فمنذ أوائل القرن العاشر الميلادي وتترستان «بلغار الفولغا حينئذٍ» عقدت اتفاقية سلام مع روسيا الكَييفية «كييف عاصمة أوكرانيا حالياً ومركز الإمبراطورية الروسية قديماً».

وإذا كان البعض لا يعجبه الاستناد إلى تاريخ الإمبراطوريات، ولا يودّ أن يرجع إلى الإمبراطورية الكازانية التي كانت في موقع السيادة في شرق روسيا، فتكفي الإشارة إلى أنه حينما أغارت روسيا على هذه الإمبراطورية في منتصف القرن السادس عشر وَفَكَّكَتْهَا، لم تكن علاقة تترستان بالقيصرية الروسية علاقة خضوع وخنوع؛ كما هو الحال في كثير من المناطق والأقاليم الروسية؛ بل كانت العلاقة ندية؛ ضمن معاهدات واتفاقات حفظت لتترستان قدراً مقنعاً من الاستقلالية.(٤٥)

الاتجاه الثاني : يدعو إلى مساحة كبيرة من الاستقلال الذاتي داخل إطار الاتحاد الروسي، رافضاً دعوات الاستقلال عن الفيدرالية الروسية معتمداً على مبررات واقعية، يأتي على رأسها :

- الوضـع الجغرافـي لجمهورية تترسـتان، والذي لا يسـمح -في نظر دعـاة الفيدرالية- بالاسـتقلال؛ إذ إنّ تترسـتان معزولة عن أيّ دولة مجاورة، فهي في قلب الاتحاد الروسـي، ومحاطة بسـبع وحدات إدارية، خمس منها تقطنها أغلبية إسـلامية. فهي جمهورية في قلب روسـيا وليسـت على أطرافها، وقد قوَّى هذا حجة دعاة الفيدرالية، وأضعف من الأصوات المطالبة بالاستقلال؛ إذ إنّ البعد الجغرافي يلعب دوراً مهماً في نشأة الدول واستقرارها.

- اسـتمرار الارتباط بدولة مثل روسيا في قدراتها المتنوعة سياسياً وعسكرياً وتقنياً يمكّن تترسـتان من الاسـتفادة من تلك القدرات فـي تنمية اقتصادياتها، والمحافظة على مسـتوى معيشـي متميز؛ مع الاحتفاظ بقدر معقول من الاسـتقلال الذاتي المرتبط بالمركز الروسي؛ إذ يخشى قطاعٌ غير قليل من الشعب التترستاني من تأثر المستوى المعيشي والاقتصادي في حال الانفصال عن المركز الروسـي بدولة مسـتقلة؛ قد لا تستطيع سريعاً تثبيت أقدامها على الخريطة الدولية، كما قد تعجز عن الحفاظ على توفير مناخ اقتصادي مقبول.

- وضـع التركيبة السـكانية لتترسـتان، والتي تحوي أكثـر من ٢٠ قومية، يشـكّل التتر في جمهوريتهـم ٥٠٪ فقـط، بينمـا تبلغ نسـبة الـروس ٤٠٪، والنسـبة الباقية لقوميـات أخرى كالتشـوفاش، والأودمورت، والماريين، وغيرهم. ويعيش غالبيـة التتر في المناطق الريفية، بينما يتمركز الروس في المدن. وتؤثر هذه التركيبة السكانية بالطبع على التوجهات المستقبلية للجمهوريـة، وهـو عامل أجبر السـلطة على التمسـك بالواقعية والعقلانية فـي التعامل مع المسـألة القوميـة ووحدة الدولة. كما أن هـذه التركيبة المختلطة تَعمَّد الروس تشـكيلها في الجمهوريات السـوفييتية السـابقة؛ قطعاً للطريق أمام الدعوات الاستقلالية، ومن هنا أسس أصحاب هذا الاتجاه رؤيتهم على أساس أن التعايش أفضل من الصدام.

«ولعـل الاسـتفتاءات الكبرى التي جرت في تترسـتان وبشـكيريا حول العلاقـة بالمركز (موسـكو) المتعلقة بمبادئ الاستقلال والسيادة تشير إلى هذا الاتجاه. فقد صوَّت ٨٠٪ من السـكان في تتارسـتان فيها، وأيّد منهم فكرة السيادة والاسـتقلال ضمن الفيدرالية الروسية حوالي ٦٠٪». (٤٦)

مـن جانبها لم تحاول روسـيا القضاء على الدعاوى الاسـتقلالية باسـتخدام القمع الذي اعتمدته في الشيشان؛ حيث الوضع يختلف، فقوة المطالب والبواعث الاستقلالية، والنظرة لمشـروع الاستقلال لدى جمهورية تترستان تختلف عن مثيلتها لدى الشيشانيين؛ فضلاً عن

خطورة استخدام مثل هذا الوضع القمعي في جمهورية بمنزلة وأهمية تترستان.

وحاولت روسيا تبني بعض الخطوات الهادفة لتخفيف حدة الأصوات المنادية بالاستقلال؛ خاصة تلك التي تعتمد على اعتبارات دينية؛ معتمدة أساليب منوعة، تشمل الاهتمام بالمؤسسات الإسلامية، وإعادة فتح المساجد التي أُغلقت، وترميم مساجد قديمة، وبناء عشرات المساجد الجديدة.

الوضع الجغرافي لجمهورية تترستان، لا يسمح في نظر دعاة الفيدرالية بالاستقلال

إن إمكانية نجاح مشروع الاستقلال في تترستان يبدو إلى الآن غير ممكن، والأصوات المنادية بالاستقلال تبدو خافتة في ظل ظرفٍ تاريخيّ ووضع جغرافيّ، وحالة من الضعف الديني، لا تسمح ببلورة وحدة سياسية مستقلة عن روسيا. ويظل الإصرار الروسي بالمحافظة على وحدة الفيدرالية، والاحتفاظ بصورة أقرب إلى التعايش مع تترستان مرهون بتحقيق الاستقرار الداخلي، ومواجهة تحديات التغيير بالمنطقة.

٣- الوضع المستقبلي لمشاريع الاستقلال

يبدو المشهد الإسلامي متبايناً في الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية في روسيا، كما أن موقف الجمهوريات نفسها من الاستقلال يختلف من جمهورية إلى أخرى، الأمر الذي يصعب معه وضع تصور مُوحَّد واضح لمستقبل مشاريع الاستقلال في تلك الجمهوريات.

ويبقى أن يظل الاستقلال في تلك الجمهوريات«حقاً» مراوحاً بين خيارين:

١- كونه حلاً «حالياً» متاحاً تُبذَل من أجله كافة الوسائل.

٢- كونه خياراً من بين خيارات؛ يُراعَى فيها الظرف التاريخي وحسابات المصالح.

تأتي الشيشان كأُنموذج للحل الأول؛ لما يتوفر لها من مقومات جغرافية، وخصائص عِرْقية، وصحوة إسلامية متميزة مع خلفية دامية يصعب معها قبول الشيشانيين حلاً آخر.

في حين نجد جمهوريات الفولغا «أنموذج تترستان» أقرب إلى الحل الثاني؛ إذ يبدو استبدال فكرة الاستقلال حالياً بقدر واسع من الاستقلالية داخل الاتحاد الروسي أكثر مناسبة؛ بسبب الصعوبة الجغرافية في الاستقلال عن المركز الروسي؛ وضعف الالتزام

الديني؛ مقارنة بجمهوريات القوقاز؛ مع أهميته كعامل يمكن الالتفاف حوله في ظل تعدد عِرْقي يعرقل مشاريع الاستقلال، مع الاستفادة من الارتباط بدولة ذات إمكانات متعددة استراتيجياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً كروسيا.

ومن الأهمية بمكان اهتمام مسلمي روسيا بحل قضاياهم السياسية والاجتماعية وتغليب الواقعية في التعامل مع المشهد الجديد الذي يسود المنطقة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي بكل تفاصيله واعتباراته، بعيداً عن الحسابات العاطفية المجردة التي قد تؤدي للإقدام على الخوض في تجارب استقلالية غير محسوبة العواقب، مما يمكن أن تصل الأمور معه للدخول في أنفاق مظلمة لا تدفع إلا في زيادة المأزق التاريخي الذي يمر به مسلمو المنطقة.

كما أن مصلحة المجتمعات المسلمة في الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية في روسيا هي المعيار الأهم في تحديد النظرة لقضية الاستقلال في تلك الجمهوريات، على ألا تتشكل تلك المصلحة بعيداً عن النظر الشرعي الذي يولي لإقامة الدين وحرية العبادة أولوية قصوى، فضلاً عن عدم إغفال أهمية «أن يكون المسلمون جزءاً من كيانات أكبر ليس فقط لتُحقق لهم المصالح الاقتصادية والاجتماعية، ولكنّ وجودهم في مجتمعات يُتيح لهم فرصة الاختلاط بالآخرين والتبليغ .. أما إذا تهددت مصالح المسلمين أو عباداتهم، ولم يكن من سبيل لتحقيق التوافق مع المجتمعات التي ينتمون إليها، فعليهم أن يقدروا حجم المصالح والمفاسد، هل الانفصال يحقق لهم مصلحة؟ وما هو الثمن الذي يُدفع أو الضرر الذي سيصيب مجتمع المسلمين لقاء ذلك؟ ». (٤٧)

ومن هنا فمن الضروري سعي الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية التي يمثل لها خيار الاستقلال إشكالية حقيقية بحسابات المصلحة والمفسدة في واقعهم الحالي خاصة في إقليم الفولغا إلى إيجاد حالة مميزة من التعايش مع المركز الروسي تضمن قدراً واسعاً من الحريات في إطار الدولة الروسية اعتماداً على طبيعة العلاقات المتكونة تاريخياً بينهما، وفي ظل سيادة الحقوق والواجبات على الجميع في الدولة الروسية للاستفادة من إمكانياتها.

وعلى شعوب تلك المنطقة أن تحمل مسؤولية السعي المتدرج للحصول على قدْر كبير من الاستقلال الذاتي المبني على تفاهم الطرفين، مع السعي الدائب نحو بناء الاقتصاديات القوية؛ واستعادة الهوية المسلوبة.

كما أن الاعتبار من التجارب الاستقلالية السابقة ذات الظروف القريبة الشبه وتحليلها يبقى مهماً في سعي أصحاب خيار الاستقلال ممن ارتأى صعوبة الاندماج والبقاء في إطار الدولة الروسية، للاستفادة منها في تحديد إمكانية الاستقلال وطريقته وتوقيته، مع عدم إغفال خصوصية كل تجربة استقلالية.

٤- الدور الإسلامي المطلوب

على الرغم من صعوبة التحرك لخدمة قضايا مسلمي روسيا في ظل الوضع الداخلي المعادي للمسلمين بسبب التشويه المتعمد في وسائل الإعلام، فضلاً عن الوضع الدولي المتأزم بسبب الحرب على «الإرهاب»، إلا أن مسلمي روسيا ودول العالم الإسلامي يمكنهم التحرك من خلال منطلقات ومحاور عديدة لخدمة مسلمي روسيا، وبما يصب في صالح دول العالم الإسلامي أيضاً، معتمدين على الإمكانات المادية المميزة لبعض الدول الإسلامية، فضلاً عن المصالح الاقتصادية المتنامية لروسيا داخل العالم الإسلامي، والعلاقات الدبلوماسية المميزة لروسيا بالعديد من الدول الإسلامية.

إن تنشيط علاقة الدول الإسلامية مع الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية والتي تمثل حوالي ١٥٪ من سكان روسيا «تشير التقديرات إلى أن هذه النسبة سوف ترتفع في سنة ٢٠٢٥م - ١٤٤٦هـ إلى ٣٠٪، وتصل في سنة ٢٠٥٠م - ١٤٧٢هـ إلى ٥٠٪ من السكان».(٤٨) يمثل أهمية كبرى ليس فقط لمسلمي روسيا بل لدول العالم الإسلامي، خاصة إذا تم دعم وتفعيل الدور السياسي والاقتصادي والثقافي لمسلمي روسيا للوصول بهذا الدور إلى وضع قوي ومؤثر لا يمكن تجاوزه داخل دولة مثل روسيا بما تملكه من إمكانيات تكنولوجية وتقنية وموارد اقتصادية، وما يمكن أن تلعبه من دور في القضايا الدولية، وما يعنيه ذلك من رصيد كبير يضاف لخدمة قضايا العالم الإسلامي، من الممكن أن ينمو ويتزايد بنفس درجة نجاح العالم الإسلامي بمؤسساته الرسمية والشعبية في دعم الحضور الإسلامي في روسيا.

وفي ظل ما تم عرضه من معطيات يظهر لنا أهم المحاور المتاحة للتحرك من خلالها لدعم قضايا مسلمي روسيا:

١ - يجب أن تتعدى المساعدات والجهود المبذولة لمسلمي الجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية داخل روسيا خاصة الشيشان، حدود المساعدات الدينية المحدودة من الاكتفاء

بتوفير المصاحف ورحلات الحج، بل من الأهمية بمكان أن تتجاوز ذلك إلى تقديم كل أنواع الدعم الديني والثقافي (منح دراسية- مراكز ثقافية- مؤسسات وهيئات خيرية مدارس إسلامية ..) بما يساعد في استعادة الهوية الإسلامية.

٢- الاستفادة من المؤسسات الإسلامية مثل الأزهر الشريف؛ الذي له مكانة كبيرة في قلوب مسلمي روسيا باعتباره أكبر هيئة دينية في العالم الإسلامي، وتفعيل دور الأزهر في جانب التثقيف الإسلامي والمنح الدراسية.

٣- تنشيط التحركات الدبلوماسية بين الدول الإسلامية وروسيا لخدمة قضايا مسلمي المنطقة خاصة فيما يتعلق بقضية الشيشان لوقف المجازر التي يتعرض لها الشيشانيون، مع الاستفادة في ذلك من العلاقات التاريخية القوية بين روسيا وعدد من الدول العربية الهامة، ومن الأهمية بمكان تنسيق جهود المساعدة وتجاوزها للعفوية والفردية في التحرك الداعم لمسلمي روسيا.

٤- تنشيط العمل الإعلامي الإسلامي في روسيا، والذي يعاني من ضعف التمويل، بتوفير الدعم المادي والمتخصصين في المجالات المختلفة والكوادر الإعلامية المدربة؛ لتنشيط دور الإعلام الإسلامي والنهوض بالمستوى الثقافي لمسلمي روسيا، والمساعدة في تحسين صورة المسلمين التي شوهتها الدعاية اليهودية النافذة في الإعلام الروسي، والتي تسعى إلى إثارة المخاوف من الإسلام والمسلمين، وزرع العداوة بينهم وبين الروس بدعوى محاربة (التطرف الإسلامي).

٥- على الصعيد الاقتصادي، فإن لروسيا اهتمامات متزايدة ومصالح مشتركة مع الكثير من الدول الإسلامية، فيمكن الاستفادة من الرغبة الروسية للتقارب مع العالم الإسلامي وتسخير البعد الاقتصادي والمصالح المشتركة لخدمة قضايا مسلمي روسيا، خاصة قضية الشيشان، فضلاً عما يمكن أن تساهم به بعض الدول الإسلامية ذات الإمكانيات المادية الكبيرة من دعم للمستوى الاقتصادي للجمهوريات ذات الكثافة الإسلامية، والتي يملك الكثير منها مقومات السوق الاقتصادية الواعدة؛ بما توفر لديها من مواد خام وكوادر وعقول علمية مدربة وغيرها مما تحتاجه النهضة الاقتصادية لتلك الجمهوريات.

وأخيراً وعلى الرغم من التباين بين الحركة الإسلامية في روسيا ومثيلتها في الدول العربية والإسلامية، من حيث دوائر الفعل والتأثير وظروف نشأتها وتطورها، إلا أن هناك

مســاحات تقاطع كثيرة تدفع في اتجاه أهمية اســتفادة الحركة الإسلامية الصاعدة في العديد من الجمهوريات ذات الكثافة الإســلامية في روســيا من تراث العمل الإســلامي في الدول الإســلامية التي قطعت الحركة الإســلامية بها شــوطاً كبيــراً في التجــارب الدعوية والعمل السياســي، خاصة وأن الحركات الإســلامية في روســيا ما زالت تمر بمرحلة عدم اســتقرار وينقصها الخبرة الدعوية والعمق الفكري؛ بسبب حداثة النشأة وعقود الاضطهاد الشيوعي.

***

قائمة المراجع:

(١) الكتاب السنوي للمخابرات المركزية الأمريكية **Fact Book** لعام ٢٠٠٦ .

(٢) د.عاطف معتمد عبد الحميد، الصراع الروسي الشيشاني في ضوء الرؤية الجغرافية لنزاعات القوقاز،ص ١٤.

(٣) http://www.ru4arab.ru (الإحصائيات بشأن عدد سكان روسيا مختلفة يصل بعضها بعدد مسلمي روسيا إلى ٢٥ مليون نسمة في حين تشير الإحصائيات الروسية الرسمية إلى أنها في حدود الـ٢٠ مليون نسمة).

(٤) تاريخ الطبري، الجزء الثاني، ص ٥٣٥: ٥٤٤.

(٥) أحمد رائف، مستقبل الإسلام في روسيا وما وراء النهر، الزهراء للإعلام العربي، ص ١٩٥.

(٦) د. عطية القوصي، تاريخ الدولة العباسية «بتصرف»، دار الثقافة العربية، ص١٢٦: ١٣١.

(٧) د.عاطف معتمد عبد الحميد، الصراع الروسي الشيشاني في ضوء الرؤية الجغرافية لنزاعات القوقاز ص ١٥، ١٦.

(٨) تم اعتماد هذه المعلومات من عدة مصادر أهمها : د.علي عبد الرحمن عواض : المسلمون المنسيون في روسيا «بتصرف» مجلة البيان، العدد ٦٦- أغسطس ١٩٩٣، ميثم الجنابي، الإسلام في أوراسيا، دار المدى، ٢٠٠٣، ص٣٥- ٣٧.

(٩) د.محمد عبد القادر أحمد، الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي بين الماضي والحاضر، القاهرة، مكتبة النهضة، ص١٣.

(١٠) بعض الباحثين يرون في اعتناق روسيا للمسيحية«٩٨٨م» مجرد ردة فعل لاعتناق البلغار «التتار» للإسلام كنوع من التميز الديني أمام الأعداء المسلمين. يراجع: عاطف معتمد عبد الحميد، الصراع الروسي الشيشاني في ضوء الرؤية الجغرافية لنزاعات القوقاز، ص١٦.
(١١) د. علي عبد الرحمن عواض : المسلمون المنسيون في روسيا «بتصرف» مجلة البيان، العدد ٦٦- أغسطس ١٩٩٣.
(١٢) جاد جييف، عرض د.عاطف معتمد عبد الحميد: الجغرافيا السياسية للقوقاز، جبل الألسن في خاصرة آسيا، خطر أيديولوجي يواجه روسيا، الجزيرة، العدد : ١٨ ، ١٠ مايو ٢٠٠٣.
(١٣) د.عاطف معتمد عبد الحميد: مسلمو روسيا: شكراً على التجاهل! «بتصرف» ، إسلام أون لاين، ٣/ ٨/ ٢٠٠٢م.
(١٤) ميثم الجنابي: الإسلام في أوراسيا، دار المدى، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، ص ١٨٩.
(١٥) المرجع السابق، ص ١٠٤، ١٠٥.
(١٦) القوقاز حصن العالم الإسلامي في وجه الزحف الروسي، مجموعة مؤلفين، مركز دراسات العالم الإسلامي ، ص ٢٥٦.
(١٧) المسلمون في روسيا : جدل الحوار والانفصال، مجلة المجتمع، عدد ١٦٣٦.
(١٨) د. عاطف معتمد عبد الحميد: الإسلام الروسي بين الصدام والتفاهم، الجزيرة، ٥/ ١٠/ ٢٠٠٤م.
(١٩) ميثم الجنابي، مرجع سابق ، ص ١١٦.
(٢٠) د.عاطف معتمد عبد الحميد: تترستان.. الاستقلال أم التعايش؟ «بتصرف» ، إسلام أون لاين، ١٩/ ١٠/ ٢٠٠٢م.
(٢١) ميثم الجنابي، مرجع سابق ، ص ١٢٧.
(٢٢) أحمد رائف ، مستقبل الإسلام في روسيا وما وراء النهر، الزهراء للإعلام العربي ص٢٨، ٢٩.
(٢٣) ميثم الجنابي، مرجع سابق ص ١٥٤ : ١٦٣.
(٢٤) أحمد رائف، مستقبل الإسلام في روسيا وما وراء النهر ، الزهراء للإعلام العربي، ص٢٩٢.
(٢٥) د.عاطف عبد الحميد، الصراع الروسي الشيشاني في ضوء الرؤية الجغرافية لنزاعات القوقاز، ص ٣٩ :٤١.
(٢٦) www.ru4arab.ru
(٢٧) بول رينولدز، الشيشان: لماذا يصر بوتين على سياساته؟ موقع البي بي سي، أخبار العالم، ٦/ ٩/ ٢٠٠٤م.

(٢٨) عبد القادر عبد الهادي، روسيا والقوقاز وآسيا الوسطى: سياسة قديمة في وعاء جديد، إسلام أون لاين.
(٢٩) وكالة إنترفاكس ١٣ / ١٠/ ٢٠٠٥م.
(٣٠) سعيد عبد الحكيم، مأساة القوقاز المسلمة وملحمة الشيشان الصامدة: الجذور والأسباب، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ص٧٦.
(٣١) المرجع السابق ص ٧٨.
(٣٢) المرجع السابق ص ٨٦.
(٣٣) ميثم الجنابي، مرجع سابق ، ص٧٦.
(٣٤) المرجع السابق، ص٧٧، ٧٨.
(٣٥) علي حسن باكير، هل ننتظر ثورة «حمراء» في موسكو؟ مجلة العصر، ١٣/ ٥/ ٢٠٠٥م.
(٣٦) ميثم الجنابي، مرجع سابق ، ص ١٤٧.
(٣٧) عبد الله صالح ، الروح الثورية تجتاح المناطق الروسية، مجلة العصر ، ١٢/ ٥/ ٢٠٠٥م.
(٣٨) ميثم الجنابي، مرجع سابق ، ص١٣١.
(٣٩) ميثم الجنابي، مرجع سابق ، ص١٣٩.
(٤٠) المرجع السابق، ص ١٤٤، ١٤٥.
(٤١) د. حمزة زوبع،الشيشانيون: الحرية أو الموت، إسلام أون لاين، ١٦/ ١٢/ ١٩٩٩م.
(٤٢) محمد عادل، لمزيد تفصيل يُراجَع بحث «الصراع في الشيشان.. إشكالية الحسم واحتمالات التسوية»، التقرير الارتيادي الثاني لمجلة البيان، ٤٥٣: ٤٩٣.
(٤٣) ميثم الجنابي، مرجع سابق ، ص١٢٤.
(٤٤) ضمير أحمد، مسلمو «تترستان»: أوقفوا إعلانات الخمور، إسلام أون لاين، ١/ ٧/ ٢٠٠٢م.
(٤٥) د. عاطف معتمد عبد الحميد: تترستان: الاستقلال أم التعايش؟ إسلام أون لاين، ١٩/ ١٠/ ٢٠٠٢م.
(٤٦) ميثم الجنابي، مرجع سابق ، ص ١٢٩.
(٤٧) فهمي هويدي ، فقه الأقليات المسلمة: انفصال أم اندماج؟ ، إسلام أون لاين، حوارات حية ٢٧/ ١٠/ ٢٠٠٢ .
(٤٨) فهمي هويدي، روسيا إذ تكفِّر عن الماضي، جريدة الأهرام ٤ أكتوبر ٢٠٠٥.


رقم الإيداع